INSTITUT
DU MONDE
ARABE

معهد العالم العربي

كرسي المعهد

King Faisal
PRIZE

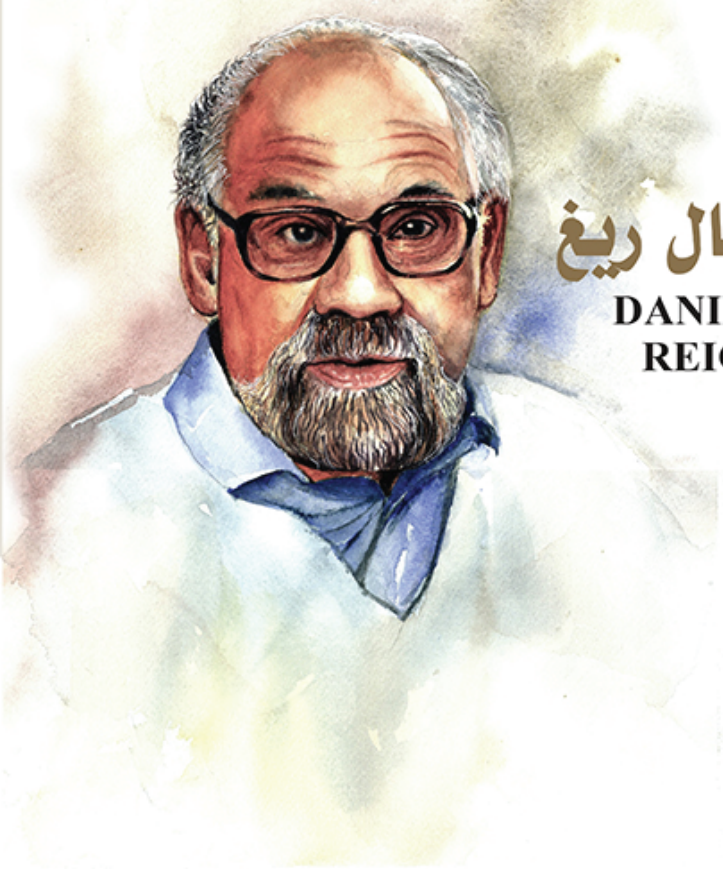

دانيال ريغ

DANIEL REIG

إبراهيم صحراوي

دانيال ريغ

الكتاب : دانيال ريغ مستعرب فرنسي
المؤلف : **إبراهيم صحراوي**
الطبعة : الأولى 2019
عدد الصفحات : 124
القياس : 13 × 19
الإيداع القانوني : 2019MO1526
الترقيم الدولي : 978-9920-677-04-2

جميع الحقوق محفوظة

المركز الثقافي للكتاب

الدار البيضاء / المغرب
6، زنقة التيكر
هاتف : 212522810406+
فاكس : 212522810407+
markazkitab@gmail.com

بيروت / لبنان
الحمراء ـ شارع المقدسي ـ بناء بلبيسي
هاتف : 9611747422+
فاكس : 9611744733+

INSTITUT
DU MONDE
ARABE
معهد العالم العربي
كرسي المعهد

King Faisal
PRIZE

دانيال ريغ

مستعرب فرنسي

إبراهيم صحراوي

المركز الثقافي للكتاب
للنشر والتوزيع

المحتويات

عتبــة..... 7
تقديم..... 9
الفصل الأول : دانيال ريغ، آثاره..... 13
1.1. مؤلّفاته..... 16
1.1.1. تعليم اللغة العربية..... 18
1.1.1.1. أتعلّم العربية ج1..... 19
1.1.1.2. أتكلّم العربية ج2..... 21
1.1.2. ريغ والمعجمية العربية..... 23
1.1.2.1. السيماسيولوجيا والأنوماسيولوجيا..... 23
1.1.2.2. السبيل، معجم عربي-فرنسي/ فرنسي-عربي..... 31
1.1.2.3. Al Façil، السّهل، معجم عربي-فرنسي..... 38
1.1.3. رجل الاستشراق..... 39
1.1.4. مختارات عربية، جولة في عالم العرب من خلال الصحافة والأدب..... 47
1.1.5. كتاب التصريف..... 49
1.1.6. جزيرة العجائب: المرآة، السراب، الأسطورة.... 49
1.1.7. النقد الأدبي والثقافي وتحليل النصوص..... 52
1.1.8. ابن الجوزي، صيد الخاطر، ترجمة وتقديم وتهميش.. 56
1.2. استخلاص..... 57

الفصل الثاني : مقتطفات من مؤلّفاته ومقالاته وحواراته..... 63
2.1. من لقاء أجرته معه دار لاروس عن معجم السبيل غداة
صدور طبعته الأولى وصدر عنها في نشرة خاصّة..... 63
2.2. رجل الاستشراق، مسارات اللغة العربية في فرنسا..... 65
2.3. نمذجة الثقافات..... 94
2.4. من الألفاظ إلى المعاني والعكس..... 96
2.5. عرس الزين: الكيمياء الأدبية في السودان..... 99
الفصل الثالث : بيبليوغرافيا دانيال ريغ..... 103
3.1. الكتب..... 103
3.1.1. الكتب المستقلّة..... 103
3.1.2. الكتب المشتركة..... 104
3.1.3. مداخلات في ملتقيات لم نعثر عليها منشورة..... 105
3.1.4. مقالات منشورة باللغة الفرنسية..... 105
3.1.5. مقالات منشورة بالعربية..... 106
3.1.6. ترجمة مؤلّفاته إلى اللغة العربية..... 106
3.2. أعمال دانيال ريغ في ميزان النّقد..... 107
3.2.1. عن كتاب أتعلّم العربية ج1..... 108
3.2.2. عن معجم السبيل..... 111
3.2.3. عن كتاب التصريف..... 115
3.2.4. عن ترجمة صيد الخاطر..... 116
بيبليوغرافيا..... 117

عتبـة

يصدر هذا الكتاب ضمن مشروع معرفي طموح، تبنته ونفذته مؤسستان ثقافيتان كبيرتان، هما "جائزة الملك فيصل" بالرياض، و"معهد العالم العربي" في باريس، ممثلاً في "كرسي المعهد". يهدف هذا المشروع إلى التعريف بمائة عالم وباحث، من العرب والفرنسيين، ساهموا في تقديم إحدى الثقافتين للأخرى. لقد كرس هؤلاء الباحثون والمثقفون، العرب والفرنسيون، جهودهم لتعزيز مختلف أشكال الحوار الجاد، والتفاعل الخلاق بين ضفتي المتوسط، خلال القرنين الماضيين. وبفضل منجزاتهم الاستثنائية استحقوا الاحتفاء بهم، والكتابة عنهم، من أجل تخليد ذكراهم، والتعريف بهم لدى الأجيال التالية؛ التي نأمل أن ينظروا إليهم باعتبارهم رموزاً مشعة، تلهم العقول، وتضيء مسالك المستقبل، لكل من يعي أن الثقافة بمكوناتها العلمية والفكرية والجمالية، هي الطريق الأمثل للتعارف والتعاون بين البشر.

اختيار ستين شخصية عربية، وأربعين شخصية فرنسية، جاء نتيجة لعمل مهني متصل، بذلته لجنة علمية مشتركة

على مدار أشهر. حرصت اللجنة أن تكون الأسماء المختارة ممثلة، قدر الممكن، لمختلف الفترات التاريخية، والتخصصات المعرفية، والتوجهات الفكرية والإبداعية. إننا ندرك تمامًا أن في كل اختيار مخاطرة. ولو كتبنا عن ألف شخصية وأكثر، فسيظل هناك أعلام يستحقون الحضور ضمن هذه السلسلة.

يتوجه هذا المشروع الثقافي إلى قارئ عام يقظ، قد يدفعه فضوله إلى المزيد من البحث المعمق في منجزات هؤلاء الوسطاء الثقافيين، الذين طالما استمتعنا بكتاباتهم، وأفدنا من أفكارهم الغنية المجددة.

إنها قناعة من المؤسستين بإضاءة مائة شمعة، تدشينًا لعمل مفتوح، نأمل أن يتممه آخرون من بعدنا، وهنا يحقق المشروع أهدافه الأكثر جمالاً ونبلاً.

خالص التقدير للمؤلفين، الذين آمنوا معنا بالفكرة، وساهموا في تحقيقها. والشكر الأوفر لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، رئيس هيئه الجائزة، والسيد جاك لانغ، رئيس المعهد، لدعمهما ومتابعتهما للمشروع. والله الموفق.

عبد العزيز السبيل معجب الزهراني

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس سهلاً أن تكتب عن شخصية عامّة معروفة على نطاق واسع أو معروفة في حدود ضيِّقة لأسباب عدّة؛ أهـمُّها أنّك قد لا تضيف شيئًا إلى ما يعرفه النّاس عنها في الحالة الأولى، وقد لا تحسن تقديمها في الثانية، وأنت في كلِّ الحالات أجدتَ، أو جانبك التوفيق، لن تشفي الغليل لأنّك لن تغطّي كلّ مساحات وجوانب أُفق الانتظار عند كلّ الناس. ومنها أيضًا غياب مصدر المعلومات الأساسية التي ينبغي أن يتضمّنها كلّ تعريف بشخصية ما؛ كتاريخ الميلاد مثلاً، أو التواريخ المفصلية في المسارين الدراسي والمهني الوظيفي، أو عدم توفّر بعض ما تركوه من آثار. وهو بالضبط ما حصل معي عندما طُلب منّي الكتابة عن دانيال ريغ، المستعرب الفرنسي الواقف في منتصف الطريق بين الانتشار الواسع من جهة والمعرفة ضمن حدود وأُطُرٍ ضيقة من الجمهور الواسع للمثقّفين من الطرف الآخر؛ إذ لم نجدْ شيئًا من كلّ هذا، عدا ترجمة قصيرة لا تزيد عن ثلاث جُمل.

والحقيقة أنّ غيابَ هذه المعلومات عن شخصية معروفة

في ميدان الاستعراب والدراسات العربية في فرنسا قامت بجهود معتبرة في تقريب الثقافة العربية من الجمهور الفرنسي وتعريفه بها، وتركت كُتُبًا عِدّة في هذا المجال أمر مثير للدهشة والاستغراب، خصوصًا وأنّه غزير الإنتاج في جوانب متعددة. والغريب أيضًا هو رفض عائلته (أرملته) القاطع إمدادَنا بهذه المعلومات برغم إلحاحنا وطلباتنا المتكرِّرة، والأغرب هو غيابه عن "معجم المستشرقين الفرنسيين باللغة الفرنسية" في طبْعَتيه الأولى والثانية، برغم ورود اسمه في إحدى مقالات المعجم. كما لم يلقَ طلبُنا الاطلاعَ على ملفّه المهني الوظيفي صدى؛ لأنّ ذلك لن يكون متاحًا إلاّ في مظانَّ ليس سهلاً الوصول إليها. هذا عدا قلّة المراجع التي كتبت عنه وعن مؤلَّفاته، وقد أشرنا إلى بعض هذه الكتابات في إحدى فقرات الفصل الثالث.

لذلك ما كان ممكنًا سوى تقديم الخطوط العامّة لفكره ومضامين كُتبه اعتمادًا على هذه الكتب نفسها (الفصل الأول)، وباختصار لضيق الحيِّز المخصَّص لذلك، كما لم نعلِّقْ على آرائه أو نناقشها إلاّ في حدود ضيِّقة جدًا.

أثبتنا في الفصل الثاني فقرات من بعض كتبه ومقالاته، هنا أيضًا كان سيفُ ضيقِ الحيّز المخصّص لذلك فوق رقابنا، فلم نتوسّع مرّة أخرى، إضافة إلى صعوبة الاختيار.

وفي الفصـــل الثـــالث عدّدنا كتبه المستقلّة والمشتركة وبعض مقالاته ممّا أمكننا الوصول إليه: المكتوبة بالفرنسية والمكتوبة بالعربية والمترجمة إليها، وأشرنا إلى بعض ما كُتب عنه وعن مؤلّفاته. وبديهي أنّ ما ذكرناه في هذا الباب ليس حصريًّا، بل هو جزء صغير جدًا من ذلك، الأكيد أنّ هناك كثيرًا ممّا لم نتمكّن من الوصول إليه.

عمومًا ما يمكن قوله عن دانيال ريغ: إنّه شخصية علمية تفرض عليك الاحترام والإعجابَ والتقدير في الوقت نفسه مهما كان موقفك منه ومن آرائه، لذلك نسارع إلى توضيح أنّ ما همَّنا منه وعنانا هو جانبه العلمي فقط، دونما أيّ اعتبار لأمور أخرى.

نتمنّى أن تُلقي الصفحات الموالية أضواءً على شخصيته لدى الجمهور الذي تتوجّه إليه، وتعرِّفها له ولو بقسط يسير. وهي - على أية حال - مقدّمة قد تسنح فرص العودة إليها مستقبلاً إن شاء الله تفصيلاً وتوسُّعًا وتنقيحًا. والله من وراء القصد.

الجزائر في 12/27/ 2018م.

الفصل الأول

دانيال ريغ، آثاره

مستشرق ومستعرب فرنسي معاصر. مجاز في اللغة العربية التي عشقها، و"تعلَّم أصولها في المغرب على شيخ جليل[1]، وخصَّص لها فيما بعد جهودَه كلّها تدريسًا وتعليمًا [في الجامعات والمدارس العليا[2] الفرنسية (باريس)]، وتحقيقًا وترجمةً وتأليفَ معاجم وكتب في قواعدها صرفًا ونحواً، ودراسةَ نصوص (أدبية بالدرجة الأولى، سردية أساسًا) في ملتقيات ومؤتمرات علمية جامعية وغير جامعية، باحثًا عن دلالاتها وأبنية هذه الدلالات وسِماتها. يحمل دكتوراه في

(1) مجلّة الوسط. عدد 30، 24 أوت 1992. ص55-57.

(2) توجد في الصفحة الثالثة من معجم السبيل (صفحة الغلاف الداخلي) تحت العنوان والعنوان الفرعي إشارة إلى المؤلِّف على النحو التالي: [الدكتور دانيال ريغ، الأستاذ في السوربون ومعهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية ومعهد الدراسات السياسية-باريس]، غير أنّ اسمه ذُكِر في القسم الفرنسي مُجرّدًا. أطلقت المدرسة العليا للأساتذة في باريس (في مقرِّها التاريخي: 45 شارع إيلم بالدائرة الـ5، حيث قضى الشطر الأخير من حياته العملية أستاذا) اسمَه على إحدى قاعاتها، وذلك في شهر أفريل 2013.

الأدب وأخرى في الإسلاميات. أشرف على رسائل وأطروحات كثيرة[1] في مستويات ودرجات متعدّدة؛ سواء أتمَّ إعدادها وفق النِّظام القديم للشهادات في فرنسا أم حسب النظام الجديد[2]. ونظرًا إلى آرائه الكثيرة المبثوثة في مقدِّمات كتبه، وفي الأبحاث والمقالات التي كتبها، نستطيع القول: إنّه مفكِّر لغوي بامتياز. بلور نظرة (كي لا نقول نظرية) حديثة (وحداثية) للغة العربية ومقاربتها ودراستها وتدريسها، ترك فيها طرق السابقين وأساليبَهم، وتحلَّى في قولها وإعلانها بقدر من الجرأة والإقدام كانا ينقُصان كثيرين.

لا تذكر المصادر أيّ شيء عنه، بل لا نجد له سوى

(1) توجد على موقع www.thèses.fr/027093379 قائمة بعناوين أطروحات الدكتوراه التي أطّرها دانيال ريغ، التي نوقشت كلّها فيما بين سنتي 1990 و1997. وهي كلّها لطلبة عرب أو قادمين من بلاد عربية، كما تعالج كلّها مواضيع وإشكاليات عربية أدبية وثقافية حضارية عامّة.

(2) بعد وصول الاشتراكيين إلى الحكم في فرنسا بداية الثمانينيات من القرن الـ20 بوشِرت إصلاحات متعدِّدة لنظام الدراسات الجامعية، ومنها سلّم الشهادات، فألغيت دكتوراه الحلقة الثالثة ودكتوراه الدولة؛ وأدمجتا في دكتوراه جديدة... دخل النّظام حيِّز التطبيق أواسط الثمانينيات، وحُدِّدت للطلبة مواعيد وآجال عليهم ألا يتجاوزوها لمناقشة أطروحاتهم المسجّلة من قبل وإلاّ تحولت آليًّا إلى النظام الجديد. واصل اليمين هذه الإصلاحات التي قوبلت برفض قاطع من المنظمات الطلابية وقواعدها، عبّروا عنه بمظاهرات قوية أدّت إلى صدامات وسقطت فيها ضحية، رفض لم يصمُد أمام إصرار الحكومة.

ترجمة قصيرة جدًّا من ثلاث جمل تذكر أنّه "مجاز في اللغة العربيـة وآدابهـا. يحمـل دكتـوراه في الأدب، وأخـرى في (الدراسات الإسلاميـة). أستـاذ بالمدرسـة العليـا للأساتذة (بباريس)[1]. المدرسة التي يذهب البعضُ إلى كونه "الشخص الفعلي الذي أدخل الدراسات العربية" إليها[2]. كما لا تذكر تاريخ ولادته، غير أنّنا نرجِّحُه فيما بين سنتي 1920 و1930. توفي يوم 13 فيفري (فبراير) 2007 في باريس. يذكر البعضُ أنّه "ترعرع في المغرب وأحبّه، وتوأم العربيةَ مع الفرنسية لغته[3]. ومن الغريب أن "قاموس المستشرقين ذوي اللغة الفرنسية- Dictionnaire des orientalistes de langue française" لم يُترجِم له في طبعته الأولى برغم إشارته إليه في معرض حديثه عن جمال الدين بن شيخ[4]، ولا استدرك ذلك في طبعته الثانية.

(1) www.babelio.com

(2) انظر: جريدة "الأخبار" اللبنانية. حوار مع هدى أيوب. 11 07 2017.

(3) انظر جريدة الحياة. 04 07 2007، ص 11. "تداعيات: التقينا على معجم السبيل، وكان مغرما بابن الجوزي"، أحمد (منصور) الكاخي.

(4) Pouillon (François). (Dictionnaire des orientalistes français de langue française. IISMM. CARTHALA éditions, Paris 2008. 2ème éd. 2012.

1.1. مؤلّفاته

ترك دانيال ريغ مؤلّفات عديدة دارت في معظمها حول تعلُّم العربية وتعليمها، وحول بعض علومها (الصّرف، المعجمية)، ولم يتوان في التأريخ لوجودها في فرنسا ومراحل تطور الاهتمام بها هناك. كما ترك مقالات ودراسات نقدية كثيرة عن نصوص أدبية وظواهر ثقافية عربية (مقدِّمات لكتب، مداخلات في مؤتمرات وندوات علمية، إلخ..)، هذا عدا إشرافه على رسائل وأطروحات جامعية كثيرة، تتعلَّق في معظمها بالحياة العربية في جوانبها المتعدِّدة وعصورها المختلفة.

كما أنّ عملَه أستاذًا للغة العربية وآدابها في الجامعة دفعه إلى اقتراح طريقة لتعليمها وتعلُّمها عبر تصميم سلسلة كتب من ثلاثة أجزاء[1]. وفي إطار سعيه المتواصل إلى تعريف الجمهور الفرنسي باللغة والثقافة والتاريخ العربي "كان بالإضافة إلى عمله أستاذًا جامعيًّا وباحثًا، مع ما يستلزمه ذلك من إشراف على الأطروحات، ومتابعة أبحاث الطلبة، والمشاركة بمداخلات في المؤتمرات العلمية يقوم بأنشطة ثقافية فكرية أخرى، مثل إلقاء محاضرات في المناسبات ذات الصِّلة باللغة والثقافة

(1) ج1: أتعلّم العربية. ج2: أتكلّم العربية. ج3: جولة في عالم العرب من خلال الصحافة والأدب.

العربية، وشغله منصب سكرتير مركز الدراسات والأبحاث في "الخيالي-l'imaginaire"، والعجيب والغريب في الأدب"، وهو ما مكّنه من طرح موضوعات لها علاقة بالثقافة العربية، برغم أنّه لا علاقة للمركز -الذي ينظِّم كلّ سنتين مؤتمرًا عِلميًّا يعالج موضوعًا ما، وتُنشر أعمالُه في كتاب[1]- بالحضارة العربية[2]. وفي السياق نفسه كان يشرف في دار ميزوناف ولاروز المختصّة في نشر الدراسات الاستشراقية على إدارة سلسلة "شرق-اتجاهات" التي نُشِرت في إطارها دراساتٌ عن جوانب من الحياة العربية.

كما قدَّم لكتب؛ منها النسخة الفرنسية لرواية العجوز لأفنان القاسم، الصادرة عن دار لارماتان سنة 2003، وكتاب جزيرة العجائب: الصور والمرآة والوظائف (أنظر الهامش 1 أدناه). وله به بحث عن ظاهرة السندباد البحري في الثقافة العربية الإسلامية بعنوان: جزيرة السندباد أو العالم مقلوبًا.. وترجم إلى الفرنسية كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي، وقدّم له وعلّق عليه... نُشِرت هذه الأبحاث والمؤلَّفات في كتب

(1) من ذلك مثلاً كتاب: Ile des merveilles : mirage, miroir, mythe - جزيرة العجائب: المرآة، السراب، الأسطورة. تقديم: الجزيرة: الصور والوظائف، + دراسة: جزر السندباد أو العالَم بالمقلوب. Editions L'harmattan، باريس 1997.

(2) مجلّة الوسط. مرجع سابق.

مستقلّة، وفي أخرى مشتركة وفي مجلاّت متخصِّصة[1].

سنحاول في الصفحات الموالية استعراضَ بعض آرائه وأفكاره ورؤاه مُستمِدِّين إياها من كتبه (ومقدِّماتها) ودراساته.

1.1.1. تعليم اللغة العربية.

كان تعليم العربية أحد الأركان الأساسية والأوجه البارزة للاستشراق منذ بداياته، تحكّمت فيه ظروف الحاجة إلى هذا التعليم بحسب الفترات، واختلفت باختلافها. لذا كان مطلوبًا من المستشرقين الفرنسيين ممّن اشتغلوا بالتدريس تأليف كتب مدرسية في نحو وقواعد اللغات التي يدرِّسونها[2]، فظهرت مؤلّفات في هذا المجال ابتداء من كتاب سلفستر دوساسي[3]، وصولاً إلى الكتب المؤلَّفة من مُستعرِبي أيامنا هذه، ممّا يستدعيه تعليم اللغة العربية - لغة أجنبية في فرنسا - التي تعيش فيها جالية عربية تكاد تكون الجالية الأجنبية الأولى

(1) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(2) احتلّت هذه النقطة حيِّزًا معتبرًا من كتاب رجل الاستشراق، خصوصًا في الفصل الرابع منه.

(3) انظر ترجمتنا لكتاب Homo Orientaliste, la langue arabe en France depuis le XIX^{e} siècle الصادرة في طبعتها الأولى عن دار الجفّان والجابي، قبرص، صائفة سنة 2000، وفي طبعتها الثالثة عن دار التنوير للنشر والتوزيع/ الجزائر سنة 2012، تحت عنوان رجل الاستشراق، 325 صفحة.

بعدد أفرادها هناك، إن لم تكن كذلك فعلاً. لم يشذّ دانيال ريغ عن القاعدة باعتباره كان أستاذًا للعربية في مؤسّسات تعليمية فرنسية عُليا. قادته هذه التجربة إلى أن يكون له إسهامُه الخاصّ، في هذا المجال، فصمَّم كتابًا مدرسيًا تعليميًّا من ثلاثة أجزاء:

1.1.1.1. أتعلّم العربية ج1[1]:

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة 1974[2]. يتساءل المؤلِّف في بداية مقدّمته عن الوسيلة التي يمكن تدريس العربية بها. قبل أن يجيب بأنَّ ذلك يتمّ بفضل (البنوية؟) وبالمنهجية/الطريقة السمعية البصرية الشفهية، معتبرًا هاتين المقاربتين معروفتين على نطاق واسع، ممّا يجعل العودةَ إليهما ضرورية، ليشير بعد ذلك إلى أنّ المنهجية التربوية التي تحكَّمت في تصميم هذا الكتاب قد استلهمت إسهاماتهما: أي البنوية والطريقة السمعية البصرية.

يتضمَّن الكتاب ثلاثين درسًا، قوامها تمارين تعرُّف

(1) للأمانة، استعنّا في عرض محتويات الكتاب بما ذكره محمّد ناوي في أطروحته الموسومة: فعالية الكتب المدرسية في تحصيل القراءة الدلالية باللغة العربية لغة أجنبية والتحكُّم فيها. انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(2) Reig (Daniel). أتعلّم العربية. Maisonneuve et Larose. Paris 1974.

وكتابة. ليست هناك تعليمات معينة، لكنّ التلميذ يحاول معرفة المطلوب منه عبر الرسوم المصاحبة للدرس، لأنّ الأمر يتعلَّق بجعله في وضعية تلقٍّ، ثمَّ تكرارٍ وإبداع. لذا يعود المعلِّم مع بداية كلّ درس جديد إلى عناصر من الدّرس السابق لتعلّم كلمات جديدة.

ولأنّه كتاب قراءة ونحوٍ في الوقت نفسه، يوجد في نهايته مُلحقٌ (أو موجز) بعنوان: كتاب النحو، يستعيد الأمثلة المذكورة سابقًا، ويقدِّم لها شروحًا نحوية خالصة باللغة العربية. يليه في الختام فهرس بالكلمات المستعملة في الدروس مرتَّبة ترتيبًا ألفبائيًا، أمام كلِّ كلمة رقمٌ يشير إلى الصفحة التي وردت فيها. الفهرس عبارة عن جدول من أربع خانات تضمُّ كلٌّ منها اللفظة بالعربية وباللغات الفرنسية والألمانية والإنجليزية. (ولَعلَّ هذا هو سرُّ كتابة عنوان الكتاب باللغات الأربع على غلافه الخارجي). تردُ التعليمات المصاحبة للدروس باللغة العربية. النصوص مكتوبة من المؤلِّف، وليس فيها أيُّ نصٍّ من التراث الأدبي العربي قديمه وحديثه، كما لاحظ ذلك النقّاد[1]، تصاحبها رسوم بالأبيض والأسود على طريقة الشرائط المرسومة، يستعين بها على ترجمة تعليمية أو وضعية، كما يستعملها لتحفيز الكلام ودفع التلميذ إلى التعبير.

(1) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

لا يوجد فهرسُ موضوعات في آخر الكتاب.

يهدف الكتاب من حيث المضمون إلى تحسيس أوّلي للمتعلّمين بالخطّ العربي، وذلك بتعليم الشكل الكتابي للأحرف في الدروس الخمسة الأولى، بطرح أسئلة والإجابة عنها (من المعلِّم في الحالتين)، ويكون التلميذ مستمعًا في البداية قبل أن يحاول الإجابة بنفسه، تساعده في ذلك رسوم لأشياء معتادة لديه.

للاستفهام والحدس مكانة مهمّة في الكتاب يعوِّل عليها المعلِّم (ومن ورائه المؤلِّف) في فهم التلاميذ للدرس؛ فكانت التمارين كثيرة ومتعددة الأشكال (تمارين بفجوات: أي نقاط وفراغات يجب ملؤها، تمارين شفوية، تمارين مكتوبة، تمارين صرف أو تحويل..).

بقي أن نشير ختامًا إلى أنّ المؤلِّف أهدى كتابَه إلى "ذكرى والده الذي كانت العربية بالنسبة له لغة حيّة".

1.1.1.2. أتكلّم العربية ج2

صدّره بمقدّمة قصيرة (بخلاف سابقه الذي كانت مقدِّمتُه طويلة نسبيًا) بعنوان: تمهيدات بيداغوجية أعطى فيها عبر ثلاث فقرات فكرة عن محتوى الكتاب وكيفية تقديمه، سواء أتعلّقَ الأمرُ بالنصوص أم بالملاحظات النحوية أو بالتمارين:

نصوص حوارية وملحوظات نحوية تحيل إلى موجز نحوي موجود بعد القسم العربي من الكتاب، وتمارين مُصمّمة بطريقة توجِّه المعرفة النحوية المكتسبة إلى الممارسة اللغوية مشافهة أو كتابة.

النصوص عبارة عن سردٍ من "جاك" المبتدئ الباريسي في تعلُّم العربية، لمجريات رحلته الاستكشافية إلى المشرق العربي لصديقه "سامي". يتدخّل في هذا السّرد/الحوار من حين لآخر "راوٍ" لتوضيح شيء ما. يوجِّه مستخدمي الكتاب إلى قراءة الحوارات في البيت، مستعينين في فهمها بالقواميس وكلّ الوسائل البيداغوجية المتوفِّرة/الممكنة - وبالأخص الملاحظات النحوية - لمساعدتهم على فكِّ شفراتها. كما لا يهمل الإشارة إلى ما على المعلِّم فعلُه أثناء الدّرس؛ من تصحيح لهفوات القراءة والتأويل الخاطئ، ثمّ شرح وتفسير الملاحظات النحوية المختصرة الواردة آخر النصِّ، مع الحذر من الوقوع في الثرثرة. المهمّ أنه على المعلِّم أن يكون مُنشِّطًا، بمعنى أنّه هو من عليه إضفاء حياة على النصِّ وتحريكه.

أمّا الملاحظات النحوية فهي - كما يرى - موجَّهة إلى السّيـــر بالمتعلِّمين والمعلِّميـــن في تنظيـــم المعرفة النحوية بتجنيبهم الوقوف المطوّل عند تفاصيل غير مهمّة، أو التعثُّر بقضايا تستلزم وقتًا طويلاً لحلِّها، وملاحظات أخرى. ثم

يعطي فكرة موجزة عن التمارين الملحَقة بكلِّ نصٍّ، كما لا يهمل الإشارةَ في حديثه عن القسم الثالث من هذا الجزء من الكتاب –يقول: إنّه خصَّصه لقضايا الاقتصاد والسياسة والثقافة وعرضه في شكل حوار وتمارين كمقدمّة عملية للغة الصحافة والإذاعة - إلى "العربية الحديثة"، التي سنلحظ فيما بعد تواترها في معظم كتاباته - إن لم نقل في كلها، والتي يميِّزها كما يقول عن: - العربية الكلاسيكية، التي لم تنطَقْ أو يُتحدَّث بها، والتي ماتت ولم تعدْ حيّة. – ويميِّزها في الوقت نفسه عن العربية اللهجية المحكية (بل عن العربيات اللهجية كما ينبغي القول) التي لم ترتقِ بعد إلى مصافِّ لغة الحضارة.

1.1.2. ريغ والمعجمية العربية

كتب دانيال ريغ أبحاثًا في المعجمية العربية[1] ضمّنها آراء وملاحظات ورؤى عن صناعة المعجم العربي منذ بداياته مع معجم "العين" للخليل بن أحمد المتوفّى بين ستَيْ 786 و791م.

1.1.2.1. من ذلك دراسة بعنوان: السيماسيولوجيا والأونوماسيولوجيا: التوجُّه العربي في صناعة المعاجم

(1) مقالات ودراسات مستقلّة أو فقرات ضمن كتب أو دراسات أدبية لغوية أو مقدّمات كتب أو لقاءات صحفية وتعقيبات في مؤتمرات وملتقيات علمية.

(بالفرنسية)[1]، استعـرض فيهـا تقنيـات تأليف المعجم في التقاليد اللغوية والفكرية، باستعراض طرائق ترتيب مادّته عبر العصور. عرّف في بدايتها صناعة المعجم بأنّها ذهاب وإياب بين الكلمات ومعانيها من خلال ما أسماه بالسيماسيولوجيا والأونوماسيولوجيا. فالسيماسيولوجيا هي تعريف الكلمات/ العلامات، وذلك بتحليل كلّ منها؛ أي شرح معانيها مع شرحٍ لأوجه هذا التعريف وخصائصه ودورها في تقريب المعنى والإفهام، اعتمادًا على أمثلة من المعاجم العربية الحديثة. مُنهيًا بالإشارة في هذا الصّدد إلى أنّ أهمّ تعريف يمكن وضعُه للشيء هو الشيء نفسُه؛ ذلك أنّه لا تعريف مكتمل بإمكانه استنفاد جزئيات معنى لفظ ما والإحاطة بها كلّها، ومن ثم هل هناك طريقةُ تعريفٍ للفظة "حجر" مثلاً أكثر إفهامًا ووضوحًا من التعريف بجعل مستعمل القاموس يرى الحجر نفسَه؟ من هنا جاءت فكرة الرسوم والصور-الإيكونوغرافيا/ l'icongraphie، التي صاحبت المعاجم العربية الحديثة[2]، وهي وإن كانت

(1) Sémasiologie/onomasiologie : la voie arabe de la lexicographie السيماسيولوجيا/الأونوماسيولوجيا: التوجّه العربي في صناعة المعاجم. مجلّة اللسانيات. مركز البحوث التقنية لترقية اللغة العربية وتطويرها. العدد 11. الجزائر 2006.

(2) أول معجم عربي استعمل الرسومات والصور هو المنجد في اللغة للويس المعلوف، الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1908 في بيروت، لبنان.

وسيلة ثرية ومفيدة في المعاجم أحادية اللغة[1]، فإنّها ليست كذلك في المعاجم المزدوجة؛ لأنّها غير مُبرَّرة من الناحية العلمية؛ إذْ لا تعدو كونها ديكورًا وتزيينًا؛ لأنّ العودة إلى اللغة الأم تعني العودة إلى المرجع، ومن ثمّ على كثير من واضعي القواميس العربية المزدوجة (كما يرى) أن يفكِّروا أحيانًا فيما يفعلون؛ لأنّ ما يفعلون يتجاوز الترجمة[2].

ينطلق بعد ذلك (بشرح معانيها) في استعراض[3] طرائق

---

(1) يعود إلى استعمال الصورة في تعريف الكلمات وشرح معانيها في مقالة أخرى بعنوان: من الألفاظ إلى المعاني والعكس. مجلّة المعجمية التونسية عدد 5-6، 1991.

(2) لدانيال ريغ بعض الحقّ في هذا الحكم؛ ذلك أنّه إذا كان المعجم التفسيري، (وحيد اللغة) معجمَ تعريف وشرح للفظة، مادّة قاموسية (مدخل) غير معروفة، فإنّ القاموس مزدوج اللغة يعطي ترجمة لتلك اللفظة أو المادّة القاموسية/المدخل.

(3) أو بالأحرى استعراض طرائق ترتيب مادة المعاجم العربية، وهي طرائق معروفة من الدارسين، ومنهم طلبة الجامعات؛ حيث توجد في بعض المقرّرات الدراسية مادّة أو مقياس "المعاجم"؛ سواء أكانت مستقلّة أم متضمّنة. كما يمكن العثور عليها في معظم الكتب التي أُلِّفت في الموضوع، بل في كل هذه الكتب، يمكن في السياق الإشارة – على سبيل التمثيل لا الحصر- إلى كتاب: المعاجم العربية، بداءتها وتطورها، تأليف إميل يعقوب، الصادر سنة 1985 عن دار العلم للملايين، بيروت لبنان. وهو كتاب مُبسّط يحيط بالموضوع من كلِّ جوانبه، وضع المؤلِّف في آخره جدولاً صنّف فيه المعاجم العربية تاريخيًّا من حيث طرائق الترتيب من معجم العين إلى آخر المعاجم =

ترتيب مادة المعاجم العربية القديمة بدءا بالترتيب الصوتي مع معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي و"تهذيب اللغة" للأزهري والمُحكم" لابن سيده ملاحظًا في هذه الأثناء صعوبة التعامل مع هذه الكتب المهمّة ذات الدّفاتر والأجزاء العديدة، التي يخضع ترتيب المادّة القاموسية فيها - وهو ترتيب علمي وصارم - لنظام ذي عناصر خارجية أكثر فأكثر عن النِّظام نفسه، كما هو ظاهرٌ كتابةً في الأداة المادية المتجسِّدة في الكتاب، ذلك أن مفاتيح هذا الترتيب منغرسة في التقاليد الشفهية (المشافهاتية)[1]، بينما كان المجتمع الإسلامي يتطور في مجال الكتابة والتقييد، وذلك بالنسبة للطبقات المُثقَّفة منه على الأقل، مرحلة انتقالية كانت الشفهية تفقد فيها سيطرتها لفائدة تقاليد كتابية. وهي مرحلة يمكن مقارنتها بطريقة منتظمة ومقلوبة (أو معكوسة) بما نعيشُه اليوم (كُتِب هذا الكلام في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين)، والتي ننتقل فيها من

= الحديثة حتى نهاية السبعينيات من القرن الـ20. وهو بقدر ما يفيد طلبة التخصُّص يفيد من يرغب في اكتشاف عوالَم المعجم العربي.

(1) الرّبط هنا واضح من المؤلِّف بين الترتيب الصوتي للكلمات (أو بالأحرى للجذور المجرّدة العامّة الممكنة بعد التقليبات، التي هي الطريقة التي لجا إليها الخليل لحصر ألفاظ اللغة) والممارسات الصوتية المشافهاتية في التقاليد العربية في مرحلة بدايات التدوين وقبله، فكأنّ الأول نتيجة للثانية.

ثقافة المكتوب إلى ثقافة السمعي-البصري، حيث تعود جزئيًّا مرة أخرى أسبقية الشفهي[1].. ينتقل بعدها إلى تعداد عوامل الانتقال من الترتيب الصوتي إلى الترتيب الألفبائي مباشرًا (ومطلقًا) كان أم معكوسًا (أي يبدأ بآخر حروف الكلمة، الترتيب بحسب القافية) مُخصِّصًا لكلٍّ منهما فقرات يستعرض فيها بعض خصوصياتهما، مع ضرب أمثلة لكلّ نوع ممّا هو معروف في التراث المعجمي العربي، مثل تقويم اللسان لابن الجوزي[2] (مع موجز لدواعي تأليفه) في الترتيب الألفبائي المباشر أو الترتيب الألفبائي عمومًا، وبعض القواميس الحديثة[3] (بالنسبة للترتيب الألفبائي المطلق) التي قصد مؤلِّفوها من ورائها تجنيبَ التلاميذ والطلبة ومستخدمي المعجم عمومًا صعوبات البحث في المعاجم القديمة، وهو بحث يستلزم حدًّا أدنى من المعرفة "اللسانية" مُضحِّين بذلك بـ"الحسِّ

(1) ماذا كان سيقول اليوم لو كتب هذا الكلام في أيامنا هذه مع سيطرة وسائل الاتصال الحديثة ووسائطه الجديدة ومواقع التواصل، وهجرة شرائح واسعة من أفراد المجتمعات (العربية منها خاصّة) للمطالعة والمكتوب إلى المرئي والمسموع إلكترونيًا عبر وسائل الاتصال الجديدة؟.

(2) ترجم كتابه "صيد الخاطر" إلى الفرنسية مع مقدِّمة وافية. نعتقد أنّ الترجمة تمّت في إطار بحث جامعي. سنعود إلى هذا الكتاب في الصفحات الموالية.

(3) مثل: "الرائد، لـ مسعود جبران.

اللغوي لفائدة السهولة والجهل"، ترتيب "ليس له مبرِّر علمي" في رأيه بقدر ما هو ترتيب "ديماغوجي وتجاري" يسهم في ضرب استقرار الوحدات القاموسية (المفردات)، وفيما وراء ذلك -ربّما- ضرب نظامها الاشتقاقي الواضح والبسيط لتجريده في الأخير من مقدرته الإبداعية. أمّا فيما يتعلّق بالترتيب الألفبائي المعكوس، أو الترتيب بحسب القافية، فقد مثّل له بـ"الصِّحاح" للجوهري، الذي افتتح هذه الطريقة، و"لسان العرب" لابن منظور[1]، وهو أهمّ وأشهر المعاجم العربية القديمة، لكونه حصيلة لها جميعها. ثمّ يشير إلى مزايا وعيوب الترتيب بصنفيه قبل أن ينتقل إلى الحديث عن الترتيب الألفبائي الجزئي، والوقوف مطولاً عند الاشتقاق في اللغة العربية وبعض ميكانيزماته ودوره في توليد المعاني، مع مقارنات بلغات أخرى.

أما فيما يتعلّق بالوجه الثاني من الصناعة المعجمية:

(1) نلحظ بعض الاضطراب في التواريخ في المقالة، من ذلك مثلاً قوله: إنّ لسان العرب مؤلَّف سنة 1311، بينما هي سنة وفاة مؤلِّفه ابن منظور على ما تذكر مختلف المصادر والمراجع. وقبلها إشارته إلى وفاة الجوهري سنة 1006م، بينما تذكر مصادر ومراجع أخرى تاريخًا آخر لهذه الوفاة هو 1003.. إلخ. إلاّ أنّ تواريخ الميلاد والوفاة قديمًا – كما هو معروف - غالبًا ما تكون تقريبية، وهو مصدر الخلط والاختلاف فيها بين الدارسين.

(الأونوماسيولوجيا)، فهو الانطلاق من المعنى (المفهوم) لإيجاد ألفاظ أو علامات لغوية أو مصطلحات تدلّ عليه، هي - بعبارة أخرى - الانطلاق من الفكرة التي نرغب في التعبير عنها للوصول إلى اللفظة التي نعبِّر بها عنها. كما تنطلق أيضًا من الشعور الخفيّ أو الجليّ بأنّ "اللغة مجموع عضوي" و"نسق واضح" يُنظّم العالم باعتباره كلًّا فكريًّا لا يرتبط بالعالم الحقيقي إلاّ بألفاظ هي واجهة (أو سطحية بينية) بسيطة لا مبادئ منظِّمة، وبأنّها "ليست نظامَ تواصُل بين البشر"، بل هي نظام تواصل بين الناس والعالَم. وفي ظلِّ هذا الوضع، فإنّ الترتيب الألفبائي يُحطّم هذا الوضوح بانفجار الجذور وتفرُّق الوحدات المعجمية من جهة، كما لا يمكن أن يكون من جهة أخرى إلاّ خاصًّا بلغة بعينها دون أن تكون له أبعاد كونية.

ولأنّ كل الأنساق الفكرية المنتَجة من البشر في صورة مذاهب واتجاهات فلسفية و/أو دينية، و/أو سياسية واضحة وكونيـة، فـإنّ الأونوماسيولوجيا تقترح إذن الانصراف عن اللفظة باعتبارها نقطة انطلاق لتنطلق من المبادئ الفكرية أو المفاهيم نفسها، وذلك بتوجُّهِها إلى التكثيف واتخاذ سمة التسمية، عكس السيماسيولوجيا التي تلجأ إلى التوسُّع والتفريع مُتَّخذة سمة التعريف، علمًا أنّ التعريف هو نتيجة لعدد معيّن من الإجراءات التي يمكن التعرّف عليها بسهولة، التي يوضِّحها

الاشتقاق، وبصفة عامّة كلّ النّظام الاشتقاقي؛ سواء أتعلّق الأمر بالاشتقاق الصّرفي-الدّلالي، أم تعلّق بالاشتقاق الدّلالي الصّرف كما في حالة التسمية الرمزية أو التسمية الناقلة.

وعن ترتيب المادّة القاموسية في هذا الشقّ من الصناعة المعجمية يرى بأنّ الترتيب قد يكون ألفبائيًّا مثلما هو الحال في المعاجم والقواميس المتخصِّصة والتقنية، أو القواميس التناظرية وقواميس المترادفات. وقد يكون منطقيًّا. وهذا الترتيب يتعلّق ببحث نظري قبلي. وهنا يتساءل عن المقاييس والمعايير التي نحكم - بناءً عليها - بأنّ هذا الترتيب أكثر منطقية من ذلك الآخر. وقد يكون الترتيب علميًّا، وهنا أيضًا يكون تحديد معايير علميته مطلوبًا. والواقع أنّه عند اختيار المصطلحات العلمية التي تتداولها الحضارة المعاصرة، فإنّنا لا نستطيع الحديث عن تقسيمات العالَم الطبيعي الموروثة عن الحِقب السابقة للبحث العلمي والمتعايشة مع المصطلحات العلمية.

يُخصِّص بعد ذلك فقرة يتحدَّث فيها عن الأونوماسيولوجيا ونمذجة الثقافات (انظر الفصل الثاني)، ليردفها بأخرى عن الأونوماسيولوجيا والترجمة الأوتوماتيكية (انظر الفصل الثاني) يختم بها بحثه القيِّم هذا الذي تقاطعت فيه المعجمية مع التاريخ، ومع ما أصبح يُعرَف اليوم بالنقد الثقافي، وتضمّن

آراءً وملحوظات مهمّة على هامش الصِّناعة المعجمية العربية.

قبل ختام عرضنا لبعض أفكار هذه المقالة/الدراسة القيِّمة، نشير إلى أنّه قدّم بعض خطوطها العامّة والقضايا التي أثارها فيها، خصوصًا منها الأمثلة المستعملة هنا في ورقة كان قد ألقاها في مؤتمر علمي انعقد في تونس عن المعجم التاريخي العربي، في الفترة من 14 إلى 17 نوفمبر 1989 بعنوان: من الألفاظ إلى المعاني والعكس[1]، ونُشِرت في العدد 6/5 من مجلّة المعجمية العربية 1990.

1.1.2.2. السبيل

معجم عربي-فرنسي/فرنسي-عربي[2]

في البحث المُخصَّص لتوجهات الصناعة المعجمية العربية المُشار إليه في الفقرة السابقة، وفي ختام حديثه عن الوجه الأول من الصِّناعة المعجمية: السيماسيولوجيا، يشير المؤلِّف إلى أنّ قاموسه (السبيل) يوجد بالضبط في ملتقى التقاليد (الأصالة) والحداثة. جانب التقاليد أو الأصالة التي

(1) ريغ (دانيال). "والعكس"، مجلة المعجمية- تونس عدد 5-6، 1990. ص 33-40. متوفرة على النت في موقع:
http://wadod.net/library/42/4205-5-6.pdf

(2) رايغ (دانيال). السبيل، معجم عربي-فرنسي فرنسي-عربي. سلسلة "زحل للقواميس المزدوجة". لاروس. ط1، باريس 1983.

أسهم علماء اللغة العرب في العصور الذهبية في إرسائها عبر تفكير ثريٍّ وموحٍ إلى حدٍّ كبير، و"التي يجهلها مطلقًا واضعو القواميس العربية الحديثة[1]"، وجانب الحداثة المتجسِّد في

(1) يبدو هذا الحكم قاسيًّا كثيرًا، وبه كمٌّ هائل من التجاوز (والانتفاخ). صحيح أنّ معظم (كي لا نقول كلّ) القواميس العربية الحديثة تعتمد الترتيب الألفبائي/ النطقي المطلَق، وهاجس واضعيها الظاهر والمُعلَن في ذلك هو التيسير، الذي سخر منه ريغ، كما رأينا، في الفقرات السابقة. لكن ذلك لا يعني جهلهم أو تجاهلهم لطرائق الترتيب العربية القديمة وجهود اللغويين العرب القدامى في هذا المجال. ففي قاموس (الرافد) مثلاً من تأليف: أحمد سليم الحمصي وسعدي عبد اللطيف ضنّاوي، والصّادر في لبنان عن المؤسَّسة الحديثة للكتاب سنة 2015، نجد أن ترتيبه خليط من الألفبائية النطقية العادية (والمطلقة؟) والاشتقاق. فمثلاً تتسلسل الألفاظ التالية في فصل الباء في القاموس: بخر بخرًا وبخارًا. بخِر بخرًا. أبخره إبحارًا. بخّر تبخيرًا، تبخّر تبخّرًا. الباخرة. البخار البخَر. البخور. المبخرة... إلخ.، وهو كما نرى ترتيب به توجُّه اشتقاقي واضح. وأصرّ واضعو "القاموس الجديد" (وهو قاموس تونسي خالص، صدر في طبعته الأولى المشتركة بين الشركة التونسية للتوزيع/تونس والشركة الوطنية للنشر والتوزيع/ الجزائر، سنة 1979) الأساتذة: علي بن هادية وبلحسن البليش والجيلاني بن الحاج يحيى في مقدّمة على توضيح أسباب اختيارهم لطريقة ترتيب مادّة معجمهم، وهي طريقة الترتيب الألفبائي المطلق، والمتمثّلة في رغبتهم تجنيب مستعمِلي القاموس صعوبات البحث عن معنى الكلمة، وقد برّر الأستاذ محمود المسعدي عملَهم هذا بإدراجه في "سلك الجهد المتواصل في سبيل التيسير والتجديد الذي لا يزال يجهده بعض خادمي اللغة العربية في العصر الحديث، كصاحب المنجد الأبجدي، أو =

الدراسات الميتالُغوية الحالية التي تستقي مصادرها من بِنَويةٍ حقيقية ومن اكتشافات السيميائيات. ويشير إلى أنّه رغِب - تبعًا لذلك - في أن يحتفظ لتنظيم قاموسه بمزايا الترتيب الألفبائي عبر تعداد الإحالات إلى الجذور، انطلاقًا من هذا الترتيب بالنسبة لبعض الجذور صعبة التحديد، رامزًا إلى تلك الإحالة بسهم في الاتجاهين أو بصيغ مثل [(انظر أيضًا "رقم ما") و: انظر الترتيب الألفبائي]. وكذلك استغلال خصائص الاشتقاق إلى الآخِر، وذلك بجعل النظام الداخلي الذي يتيحه الاشتقاق تلقائيًّا. ويبدو أنّه على الترتيب الجذري أن يتيح طريقًا ثالثًا يتوسط الوجهين المذكوريْن للصناعة المعجمية. فكانت الكلمات "مُنظّمة على أساس الاشتقاق المعروف عند اللغويين العرب، ومُرتّبة حسب الترتيب الأبجدي الخاصّ بالأصول التي اشتُقّت منها الكلمات - الأم، والتي قد تطابقها هذه الكلمات - الأمّ مطابقة تامّة أو شبه تامّة[1].

(السبيل) هو أهمّ آثار دانيال ريغ على الإطلاق. وهو قاموس مزدوج اللغة عربي فرنسي وفرنسي عربي. ظهرت طبعتُه الأولى عن دار "لاروس" سنة 1983 ضمن سلسلة "زحل- Saturne،

= جبران مسعود صاحب قاموس الرائد". نافيًا أن يكون عملهم إحداث ثورة جذرية في تاريخ علم اللغة، وإنّما "غرضهم أن يصبح المعجم في أيدي مريدي العربية ومحبّيها وطلاّبها أداة يسيرة طيِّعة..."، وسار الأستاذ عبد القادر المهيري في السبيل نفسه، لكن على حذر.

(1) ريغ (دانيال). السبيل. "في السبيل: اتجاه عام"، ص 12.

للقواميس المزدوجة". استوحى فكرته – كما يقول – من اكتشافه أن هناك فراغًا كبيرًا في مجال تعليم العربية، وتأكّد هذا الشعور لديه على امتداد تدرجِه المدرسي ثم الجامعي؛ ذلك أن الكتب الموجودة لا تأخذ بعين الاعتبار سوى اللغة الكلاسيكية أو القديمة[1]، كما استوحاها أيضًا[2] من أحد مُقرّرات المؤتمر الأول للتعريب الذي انعقد في الرباط بالمغرب في الفترة من 5 إلى 7 أفريل (أبريل) 1961، الذي دعا إلى وضع معجم حيٍّ يكون في متناول الجميع؛ "بسيط ويتضمّن كلّ المفردات العربية السليمة والجارية في اللغة المعاصرة"[3]، فأراده – تبعًا لذلك – معجمًا شاملاً للغة العربية الحديثة، اللغة العربية الحيّة، جارية الاستعمال في "الأوساط السياسية والدواوين الوزارية (...)، في المكاتب الإدارية والأعمال الاقتصادية (...)، في الصّحف والكتب (...)، في التعليم والتصنيع (...)، في كلية الآداب والعلوم والفنون (...)، في الأغاني والأفلام والإذاعة والتلفزة[4]. فكانت الكتب المدرسية لمختلف الأطوار [التي تتّسم بالجمع بين النصوص المستمدّة من الأدب الحديث والمتخبات النثرية

(1) انظر الفصل الثاني: من حوار أجْرته معه دار لاروس غداة صدور الطبعة الأولى من السبيل سنة 1983.

(2) ريغ (دانيال). رجل الاستشراق، مسارات اللغة العربية في فرنسا. ترجمة إبراهيم صحراوي. دار التنوير/الجزائر، ط2، 2013، ص 56-57.

(3) نفسه، ص 57.

(4) ريغ (دانيال). السبيل. معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي. مكتبة لاروس. باريس 1983. ص 9.

والشعرية الكلاسيكية]، وكذا الصحف اليومية والأسبوعية الشاهدة على حياة اللغة العربية والأدب الحديث، خصوصًا ما أُنتِج منه في مرحلتي الكلاسيكية الجديدة ومرحلة الازدهار (1850–1950)، المصادر الأساس لمادّته.

أعيدت مُراجعته وكذا كتابتُه بشكل مختصر لتصدره لاروس ثانية في سلسلة أخرى للقواميس مزدوجة اللغة، هي سلسلة "المريخ"، وكان عنوانه هذه المرّة: السبيل الوسيط، كما اختُصِر في أشكال وأحجام أخرى؛ منها بحجم الجيب وأكبر قليلاً، وأُعيدَتْ طباعتُه حتى أيامنا هذه مرّات كثيرة بأشكاله وأحجامه المختلفة.

من الناحية الشكلية، جاءت الطبعة الأولى (الأصل) في مجلّد ضخم، مقاس 15 x 23.5 سم. الصفحات غير مرقّمة، بل تشير في أعلاها إلى مادة الصفحة السابقة وهكذا. جاء الكتاب، بغلاف كرتوني رمادي متدرِّج يميل إلى الخضرة الفاتحة. يحمل في أعلى الغلاف العربي عنوان المعجم "السبيل"، وتحته عنوان فرعي يوضِّح اختصاصه (مضمونه): معجم عربي فرنسي – فرنسي عربي. أمّا في أسفل يسار الصفحة، فقد رُسِم الحرف الفرنسي S محتلاً أزيد من ثُلثها بلون أخضر يتوسّطه شريط ذهبي، بينما وُضِع اسم النـاشر "لاروس" أسفل يمين الغلاف. أما صفحة الغلاف الفرنسي فقد جاءت مختلفة بعض الشيء، فوُضِع اسمُ المؤلِّف أعلى يسار الصفحة تقابله من

الجهة اليمنى كلمة معجم، ثم العنوان الفرعي الموضِّح لمضمونه، وحرف S مُشابه لمثيله على صفحة الغلاف العربي، لكن يعلوه هنا اسم الناشر، أمّا أسفل يسار الصفحة، فقد وضعت كلمة: السبيل، وتحتها عبارة: سلسلة زحل–Collection Saturne.

من حيث المضمون، مثّل القسم العربي من المعجم تسعة أضعاف القسم الفرنسي. وتضمّن ستة آلاف واثنتين وتسعين (6092) كلمة (أو جذرًا مجرّدًا عامًا، أو مدخلاً قاموسيًّا، لذا فهو قاموس اشتقاقي حسب العادة الغالبة على معظم القواميس العربية) مرتّبة ترتيبًا ألفبائيًا مشرقيًّا[1]. اندرجت تحت كلّ منها معظم المعاني والمشتقّات المستعملة في مختلف السياقات والمقامات والموضوعات مع ما يقابلها في اللغة الفرنسية مرقّمة بدورها بأرقام رومانية كي تسهل العودة إليها عند

(1) يتفق الترتيبان الألفبائيان المشرقي والمغربي حتى حرف الزاي، ثم يفترقان في ترتيب الحروف الباقية. فتأتي بعد الـ ز في المشرقي: الـ س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ي. أما في المغربي فتأتي بعد الـ ز: ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي. ربما يستغرب البعض من ريغ اختيار هذا الترتيب، وهو الذي تعلّم العربية في المغرب. لكن تنبغي الإشارة إلى أن الترتيب المغاربي تراجع كثيرًا في بلاد المغرب لفائدة المشرقي، ذلك أنّه كان – ومازال - سائداً في الكتاتيب والزوايا فقط، إضافة إلى أنّ طباعة الكتب المدرسية الحديثة – بل الطباعة مطلقًا - قد بدأت في المشرق قبل المغرب بعقود زمنية طويلة.

الانتقال من قسم إلى آخر، فتجاوز عددها-كما أوضح ذلك المؤلّف في المقدِّمة خمسة وأربعين ألف كلمة (45000)، وردت في أربعين ألف (40000) عبارة.

أمّا القسم الفرنسي، فلم تُرقَّمْ كلماته، بل وردت (على عادة المعاجم الغربية) في ترتيب ألفبائي (نطقي) مُطلَق (مع شيء من الاشتقاق) تحيل كلٌّ منها إلى رقم الكلمة في القسم العربي، وتحيل إلى معانيها السياقية التي توضِّحها الأرقام الرومانية إذا لزِم ذلك اختصاراً للوقت والجهد بحسب صيغ الكلمة بزوائدها (سوابق أو لواحق) إن وُجدت. كما لم تُرقّم الصفحات في القسمين، ذلك أنّ أرقام تسلسل الجذور العامّة وتسلسل تفرُّعاتها الاشتقاقية التي تحمل أرقامًا رومانية داخل شرح الجذر نفسه تؤمِّن وضوح الترتيب.

وجريًا على عادة القواميس (الغربية منها خصوصًا) تضمّن المعجم في بداية كلّ قسم من قسميه ملاحق تضمّنت تعريفًا به وشروحًا ومختصراً نحويًّا وصرفيًّا للغة المقابلة في كلّ قسم، وقوائم اصطلاحات وفهارس، وما إلى ذلك من المعلومات الضرورية التي تتيح استعمالاً سهلاً ومفيداً.

احتلّ المعجم منذ صدوره مكانة متميِّزة وأهمية واضحة ضمن المعاجم مزدوجة اللغة أو ثلاثيتها، لحاجة شرائح واسعة إليه ممّن تُحتِّم عليهم ظروف الدراسة، أو العمل، أو

بعض سياقات الحياة اليومية والوظيفية التنقل بين اللغتين والثقافتين العربية والفرنسية من جهة، والعربية والفرنكوفونية من جهة أخرى، من تلاميذ وطلبة ورجال أعمال وساسة ودبلوماسيين وموظّفين ومترجمين وسائحين[1] وغيرهم.

كما كان منذ صدوره أيضًا مادّة للدراسة والانتقاد[2]. يحضر بقوة –كغيره من مؤلّفات ريغ وبدرجات متفاوتة فيما بينها– في بيبليوغرافيا الدراسات والأبحاث والنشرات.

1.1.2.3. السّهل –Al Facil[3]

معجم عربي فرنسي.

اعتمد في هذا القاموس الترتيب الألفبائي المطلَق، دونما اعتبار للجذور العامّة للكلمات، ونتذكّر أنّه قدّم ما يشبه النّقد لمبرِّرات بعض معتنقي هذا النوع من الترتيب (انظر الفقرة 1.2 أعلاه).

---

(1) يتعلّق الأمر هنا بحجم الجيب من القاموس بطبيعة الحال.

(2) من ذلك مثلاً نشرة نقدية كتبها المستشرق المستعرب شارل بيلاّ، وظهرت في الجزء الأول من المجلد 32 سنة 1985 من المجلّة الاستشراقية (الفرنسية) الشهيرة أرابيكا–Arabica التي أسّسها المستشرق الفرنسي إيفاريست ليفي–بروفنسال–E. Levy-Provencal وظهر العدد الأول منها سنة 1954. ومقال للمرحوم بإذن الله تعالى محمد رشاد الحمزاوي في العدد الأول من مجلة المعجمية العربية تونس ومقالات أخرى. (انظر الفصل الثالث).

(3) Reig (Daniel). Al façil, dictionnaire arabe français. Al mohit, Maisonneuve et Larose, 1992.

1.1.3. Homo Orientaliste[1] –رجل الاستشراق[2]، اللغة العربية في فرنسا منذ القرن التاسع عشر[3].

"لم يكن الشّرق مادّة إلهام فقط للمخيال الغربي، بل كان – ولا يزال – مادّة دراسية أيضًا". في هذا المجال يتنزّل كتاب [رجل الاستشراق]" وهو من أهم كتب دانيال ريغ. يؤرّخ للغة

(1) Reig (Daniel). Homo orientaliste, la langue arabe en France depuis le XIX^e. Maisonneuve et Larose. Paris 1989.

(2) هكذا ترجمت عنوان الكتاب شخصيًّا، بينما كان المؤلِّف يرغب في أن أترجمه بـ: إنسانية الاستشراق أو الإنسان المستشرق. ظهرت الطبعة الأولى من هذه الترجمة صائفة سنة 2000 عن دار الجفّان والجابي للطباعة والنشر، قبرص، بينما كان مُبرمجًا لها أن تصدر سنة 1997 كما هو موضَّح في صفحة الغلاف الداخلي. وطبعت ثانية مرتين في دار التنوير للنشر والتوزيع/الجزائر سنتي 2006 و2013.

(3) لا أتذكر إن كانت عبارة "اللغة العربية في فرنسا منذ القرن الـ19" موجودة في الطبعة الأولى للكتاب الصادرة سنة 1988. على كلٍّ حال يبدو أنّ الصفحة الداخلية للغلاف (الثالثة) غير موجودة في النسخة التي أملكها (ربما ضاعت أو انفصلت عن باقي الصفحات) التي تبدأ من الصفحة الخامسة وعليها إهداء خاصّ من المؤلِّف بخط عربي جميل، أثناء لقاء في باريس سنة 1989، وكان مشرِفًا قبل ذلك على أطروحتي الدكتوراه الحلقة الثالثة المُسجَّلة في جامعة السوربون الجديدة باريس3 قبل إلغائها في فرنسا عقب إصلاحات نظام الشهادات هناك في الثمانينات من القرن الـ20، وأشرف قبلها على أطروحتي المقدّمة لنيل دبلوم الدراسات المعمّقة–DEA سنة 1982–1983. أضفت في الطبعة الثالثة من ترجمتي للكتاب (2013) عنوانًا فرعيًّا هو: مسارات اللغة العربية في فرنسا، ولم أكن منتبهًا للعنوان الفرعي المذكور.

العربية في فرنسا، ويرسم مساراتها المختلفة منذ بدايات الاهتمام الفرنسي بالشرق عامّة وبها خاصّة. ذلك أنّ الشرق "لم يكن بالنسبة لأوروبا مصدرًا للإلهام فقط، بل كان موضوع دراسة أيضًا". من هنا يحاول أن يُبيِّن كيف "تشكّل كعلمٍ في الغرب له صيغُ تفكيرٍ ومناهج بحثٍ خاصّة به، في وقت لم يكن فيه العالم العربي (أو قسم كبير منه) سوى ولاية أو ولايات عثمانية". من ثمَّ اتّخذ المستشرقُ (في فرنسا خصوصًا)، المستعرب منه بصورة أخصّ، أشكالاً ومظاهرَ عدّة؛ سواء أتعلّق الأمر بـ"العلماء" أم بـ"التراجمة" أو بـ"الأساتذة" أو الـ"مغامرين"، فراح يرسم هذه الصورَ المختلفة عبر خمسة فصول ومقدِّمة.

استهلّ مقدِّمتـــه بتعـريف مفهوم "الاستشراق" وبدايات ظهوره في الثقافة الأوروبية، ملاحظا أنّه كان موجودًا لدى الأوروبيين منـذ أمد طويل، وعمومًا قبل أن تدلّ عليه لفظة في القاموس، قبل أن يباشـــر رسم ملامح بدايات الاهتمام الفرنسي بالشرق وإبراز تواريخه المهمّة والخطوات الأولى في هذا المجال.

في الفصل الأول تحدَّث عن وضعية اللغة العربية الاعتبارية في العالَم العربي من جهة وفي فرنسا من جهة ثانية، واضعًا له عنوانًا مثيرًا بعض الشيء: "اللغة العربية: الأسطورة والواقع".

حاول فيه فرز ما رآه أسطوريًّا فيها ومعيقًا لتطورها، خصوصًا ما تعلّق منها بما أسماه إهمالاً للعربية الحديثة، وعدم اعتراف العرب (نُخبًا على الخصوص، وكذلك المستشرقين) بها. كما أبدى في الجزء الثاني من الفصـــل ملحوظات عن وضعية تعليمها في فرنسا، وما تعلّق به من حضور أو غياب للإرادة السياسية تبعًا للظروف الجيوسياسية والاجتماعية والثقافية، وموقع المستشرقين منه. مُشيرًا إلى اختلاف هذا التعليم اليوم كمِّيًا عمّا كان عليه في الماضي؛ إذ توجد حاليًّا "ما يقارب العشرين مؤسسة جامعية يُعلَّم فيها الأدب العربي ولغته، دون إهمال ذكر عشرات المعاهد والمدارس التي تقوم بالعمل ذاته، ومن جهة أخرى، يزداد عدد الطلاب أكثر فأكثر، خصوصاً من أولئك الذين أتوا من البلاد العربية من أجل تحضير شهادات عليا. كلّ ذلك أدّى إلى أعباء إضافية وقعت على عاتق المستشرقين الذين راحوا يخصِّصون وقتاً أطول لقراءة وتصحيح الأطروحات إلى جانب أبحاثهم الخاصة[1].

وأفرد الفصل الثاني للحديث عن أثر الشرق في الفكر والثقافة في فرنسا في عصر الأنوار (وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والنِّصف الأول من القرن العشرين)، وظهور الرومانسية وانتشارها وكيف غذّى خيال وأحلام الكتّاب والشعراء

(1) الحياة، 24- 08- 1992. من لقاء أجرته معه دعد قنّاب عائدة.

والفنّانين (وحتى العسكر أيضًا: حملة نابليون على مصر في نهاية القرن الـ18) خصوصًا بعد ترجمة أنطوان غالان لقصص ألف وليلة، فأضحت زيارة الشرق أحد أهمّ برامج كثير من هؤلاء، وانعكست هذه الزيارة (حقيقية كانت أم مجازية) في أدبهم وفنِّهم وحياتهم، وكيف كانت عاملاً من عوامل ازدهار أدب الرحلات (أو حكايات الأسفار). وكان القسمُ الثاني من هذا الفصل مخصّصًا للحديث عن المترجمين والدبلوماسيين في موانئ الشرق، وصعوبة تحمّل الحياة هناك على بعضهم. وعرَّج فيه أيضًا على كيفية استعراب هؤلاء وغيرهم، وفرص تعلُّم اللغة العربية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في فرنسا والغرض منه.

ينتقل في الفصل الثالث إلى الحديث عن ميلاد الاستشراق المستعرب، وإنشاء مدرسة صغار اللغات ومشروع معهد المترجمين في كلّ من مارسيليا وباريس، ثمّ مدرسة اللغات الشرقية التي تأسست في نهاية القرن الثامن عشر، وما تلا ذلك من تعمُّق في البحث وجمع للمخطوطات والمكتبات وطبع (وترجمة) للنصوص (أو بالأحرى للمخطوطات العربية)، والكتب التي وضعها (أو حقّقها و/أو ترجمها) المستشرقون الأوائل، وما يستلزم ذلك من إنشاء للمطابع لتتبلور بعد ذلك ملامح مدرسة استشراقية فرنسية كان لها أعلامها وإشعاعها

وأثرها على الدراسات العربية في فرنسا وأوربا.

الفصل الرابع، وهو أطول فصول الكتاب، خصّصه للحديث عن تقاطع الاستشراق والاحتلال والخدمات التي قدّمها كلٌّ منهما للآخر، خصوصًا خدمات الاستشراق للاستعمار، لا سيما في الجزائر بعد الغزو –والتي "ستكون حجر المحكّ بالنسبة للاستشراق الفرنسي" حسب تعبير المؤلِّف[1]– سواء أتعلّق الأمر بالترجمة أم بالتعليم، وما يستدعيه من تأليف كتب مدرسية مساعدة. أو بالاهتمام بالدارجة والعاميات المحكية في البلاد العربية مشرقًا ومغربًا، والاهتمام بها وتدريسها[2]، بغيةَ اقترابٍ أكثر من الشعوب والجماعات المحلية وفهمٍ أعمق لها[3]. أو بالملحوظات الاتنوغرافية الناتجة عن اهتمام متزايد بثقافات الجماعات المحلية وعاداتها وتاريخها وكلّ مكوناتها الثقافية والحضارية، استجابة لحاجات جديدة أفادت منها سياسة الاحتلال كثيرًا. وفي هذه النقطة بالذات لم يبخل المؤلّف بتبريراته الكثيرة لهذا السلوك الاستشراقي، وأسهب في الدِّفاع

(1) انظر الصفحات من 116 إلى 164 من ترجمتنا للكتاب.

(2) كان اهتمام المستشرقين بالعاميات وتدريسها – ومازال – مثارًا لنقاش ومواقف مختلفة مستهجنة – في معظمها– ومستحسنة.

(3) لا يخفى الغرض الاستعماري السياسي الأداتي الواضح هنا، حتى وإن كانت نيات البعض حسنة.

عن إنسية المستشرقين (وإنسانيتهم)، وأنّه لم يكن بإمكانهم تجنُّب ما يعتبر نشْرًا منهم لصورة خاطئة أو مشوهة عن الإسلام لظروف قاهرة ذاتية وموضوعية. وقد لخّص المؤلِّف هذه الفصول (الثاني والثالث والرابع) في مقالة تضمّنها كتاب: L'Histoire de l'Islam en France du moyen âge à nos jours (تاريخ الإسلام في فرنسا من القرون الوسطى إلى أيامنا هذه)، وهو كتاب جماعي ضخم أشرف عليه محمّد أركون، وقدّم له المؤرِّخ الفرنسي المختصّ في التاريخ الوسيط جاك لوغوف، وشارك فيه عدد من الدارسين والمؤرّخين، وتُرجمت المقالة إلى العربية[1].

الفصل الأخير من الكتاب استغلّه المؤلّف لتقويم الاستشراق الفرنسي والحديث عن وضعيته الراهنة (نسبة إلى سنوات تأليف الكتاب وصدوره، ثمانينات القرن العشرين) بعنوانٍ موحٍ: الاستشراق بلا مشروع.

الكتاب تأريخ (أو محاولة تأريخ) للاستشراق الفرنسي واللغة العربية في فرنسا مفهومًا وأسماءً وإنجازاتٍ. لذا فهو

(1) الترجمة من إنجاز المرحوم بإذن الله تعالى زميلنا محمّد يحياتن من جامعة تيزي وزو، الجزائر. انظر العدد 4، 2011، من مجلّة "معالم"، وهي مجلّة فصلية تعنى بترجمة مستجدّات الفكر العالمي تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر.

ثريٌّ ثراءً واسعًا بالمعلومات؛ سواء أتعلّقت بالأشخاص أم بالتواريخ والحوادث أو بالإنجازات أو بالتحاليل الثرية، غير أنّه لم يخل من بعض التكرار. وهو - كما أشرنا في ختام مقدّمتنا للطبعة الأولى من ترجمتنا - يختلف عن الكتب التي اعتدنا قراءتها عن الاستشراق، ذلك أنّه مؤلَّف من مستشرق (أو بالأحرى مستعرب) فرنسي معاصر؛ أي من داخل مؤسّسة الاستشراق نفسها، وأنّه مُوجّه لجمهور غربي، وأنّه يقصر بحثه على جانب محدّد؛ هو الاستشراق الفرنسي دون سواه. ولعلّ هذه الأمور بالذات هي ما جعلته يدافع عنه، ويلتمس له المبرِّرات، ويركِّز على حسن نيَّته وإنسانيته، مُفنِّدًا كلّ التهم الموجَّهة إليه، مُوضِّحا أنها "أوهام خادعة[1].

وما يمكن قوله أخيرا هو أنّ الاستشراق التقليدي ببنياته وأدواته وطرقه القديمة انتهى في رأينا، وحلّت محلّه قنوات وآفاق وأدوات أخرى جديدة لدراسة الشرق وحضاراته خصوصًا، كالتطور الإعلامي و"الإعلاميائي[2]"، وهو ما يشير إليه المؤلِّف في الفصل الخامس من الكتاب.

---

(1) جريدة الحياة، مرجع سابق.

(2) المصطلح الذي اخترناه في ترجمتنا لكتاب "فلسفات عصرنا" لمصطلح ورد في إحدى مقالاته (انظر البيبليوغرافيا).

لن ننهي الحديث عن الكتاب دون توضيحٍ نراه ضروريًّا بخصوص ما ورد فيه عن طلبة الدراسات العليا العرب[1] الذين حضّروا شهادتهم العليا (دكتوراه) في الجامعات الفرنسية (في دراسات اللغة والأدب العربيين بصورة خاصّة، وبدرجة أقلّ طلبة العلوم الإنسانية والاجتماعية) في معرض تطرُّقه المتواتر -حدّ الإفراط- إلى قضية تعليم العربية في مراحل التعليم الفرنسي المختلفة. إنّ هؤلاء الطلبة – وأفخر أنّني كنت أحدَهم - لم يأتوا إلى باريس (أو غيرها من المدن الفرنسية الأخرى) لتعلّم اللغة العربية أو دراسة الأدب العربي، بل أتوها لاكتشاف مناهج جديدة وتعلُّمِ طُرُقٍ حديثة في مقاربة الظواهر الأدبية والفكرية والاجتماعية وما إلى ذلك، والاطّلاع مباشرة وفي عين المكان على مستجدات الفكر (بِلُغته) من تيارات ومذاهب ونظريات ورؤى في مختلف المجالات. ينطبق هذا أيضًا على زملائهم في كلِّ تخصّصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وقد ينطبق على زملائهم في الجامعات الغربية الأخرى. ولا داعي للتذكير بأنّ كثيراً منهم احتلّوا على مدى العقود الثلاثة الأخيرة صدارة المشهد النقدي الأدبي والفكري بصورة عامّة، ومازالوا يشكِّلون في كثير من الجامعات العربية (المغاربية منها خاصّة) شريحة معتبرة من هيئاتها التدريسية[2].

(1) انظر ترجمتنا للكتاب.

(2) ساد في سنوات الثمانينات والتسعينات من القرن المنصرم ما يشبه السخرية في أوساط شرائح من المثقفين (والمفكِّرين) والأكاديميين=

1.1.4. مختارات عربية

جولة في عالم العرب من خلال الصحافة والأدب

هو كتاب يقع في 311 صفحة من القطع المتوسط، يتضمّن نصوصًا (352 نصًّا) مختارة لكُتّاب عربٍ تدور حول موضوعات متعدِّدة (كالطبيعة والحيوانات والقرية والمدينة ووسائل النقل والتنقّل والعلاقات الاجتماعية والعمل والأشخاص والانطباعات والمشاعر والعنف والجيش والموت والعلم والمعرفة والحضارة والمجتمع العربي و..نوادر جحا). استقاها المؤلِّف (أو بالأحرى الجامع) كما ورد في العنوان الفرعي للكتاب من الأدب العربي الحديث بالأساس، وبعض المجلات والجرائد المعروفة، حدّد في التقديم البسيط الذي صدّرها به الدوافع

= العرب – الكلاسيكيين، المحافظين منهم على الخصوص- من الطلبة العائدين من الجامعات الغربية – الفرنسية خصوصًا - بشهادات دكتوراه – من البنويين بتنوعهم المنهجي تحديدًا - ودار الزمن دورتَه لتصبح هذه المناهج (السيميائيات وتقنيات السرد مثلاً) التي تُهُكِّمَ بها في بدايات انتشارها وما تلاها (نظريات القراءة والتأويل، النقد الثقافي، تداولية... وهلمّ جرّا)، هي أسُّ البرامج التعليمية الجامعية حاليًّا في معظم الجامعات العربية، وركوبةَ أزيد من ثلثي النقاد (والمفكِّرين) العرب اليوم، فأضحت ألفاظ؛ مثل: سرد وسيمياء وخطاب، تتصدّر معظم عناوين أبحاثهم ودراساتهم، مع أنّ منهم من لا يتقن أيَّ لغة غربية، ومنهم من لم تطأ قدماه بلاد الغرب إطلاقًا، ولم يطّلع على النظريات الغربية بلغاتها قطّ!

التي حدَت به إلى جمعها (والتي تنبع على اختلافها وتنوعها من رغبته في فتح أبواب التعرّف على العالم العربي للأجيال الجديدة لتي تنشأ في فرنسا وغيرها من البلدان الأوروبية، وتصبو إلى أن تكتشف حقيقة هذا العالم اكتشافًا مباشرًا، ولو من خلال الأدب والصحافة، ولكن هذه النصوص لا تشكِّل بطبيعة الحال إلّا قسمًا صغيرًا مما يمكن اختياره من النصوص العربية). أراد منه كذلك "دفعهم إلى حب البلاد العربية والناس فيها وثقافتهم، وإلى أن يجدوا لذة في تعلم لغتهم[1].

يحترم في اختياره هذا فكرتَه عن مفهومِ العربية الحيّة أو الحديثة، فلم يستقِ من الكتب التراثية إلاّ قليلَها (كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة)، هنا نتساءل إن كان هذا الإقصاء للنصوص التي كُتِبتْ في عصور ما قبل النهضة الأدبية والفكرية الحديثة سيؤدِّي إلى تعرُّفٍ جيِّد على الثقافة العربية لمن يرغب في ذلك؟ يغلب على النصوص المختارة الطابع السّردي؛ إذ إنّ كثيرًا منها مأخوذ من أعمال روائية (أو قصصية) حديثة كتبت في معظمها في القرن العشرين، ولا عجب في هذا؛ إذْ بالإضافة إلى ولعه باللغة العربية، فللمؤلِّف وَلَع كبير أيضًا بنصوصها السرديـة قديمهـا وحـديثها، وهو ما نستشفُّه من دراساته وتحليلاته التي اختصّت كلُّها تقريبًا بنصوص نثرية سردية.

(1) أنظر مقدِّمة الكتاب.

1.1.5. كتاب التصريف

ألف فعل وفعل

ظهـــر عـــن دار ميزوناف ولاروز في باريس سنة 1983. (285 صفحة من القطع المتوسِّط).

ألفَّه بغية إفادة الطالب من غير الناطقين بالعربية، أو حتى النّاطق بها، وذلك بعد ملاحظة أنّه يصل إلى الجامعة وهو لا يستطيع في أغلب الأحيان تصريف الفعل في جميع صيغه وأحواله. ويرجع ذلك في نظره إلى عُقم طرق تعليم الصّرف والنحو من جهة، وإلى غموض كتب النحو والصّرف الموضوعة بين يدي الطلاب من جهة أخرى"، وحشوها بالتعاريف السقيمة التي يصعب فهمها والتطبيق بناءً عليها. لذا يرى أنّه ينبغي في التعليم عامّة، وفي تعليم اللغة العربية خاصّة، ترك "الخرافات اللغوية والخزعبلات النظرية في النحو العربي" لممارسة طرق تربوية مباشرة.

1.1.6. جزيرة العجائب : المرآة، السراب، الأسطورة[1]

تقديم + مشاركة بعنوان : جزر السندباد أو العالَم مقلوباً

وضع دانيال ريغ مقدِّمة بعنوان: الجزيرة: الصور والوظائف،

(1) العنوان الأصلي للكتاب: Ile des merveilles : mirage, miroir, mythe, L'Harmattan, France 1997.

لكتاب "الجزيرة العجيبة" الذي ضمّ أبحاث ملتقى بالعنوان نفسه.

تساءل في بداية مقدِّمته عن كيفية تحديد الوضعية التي تحتلّها الجزيرة في ثقافاتنا وعن الأدوات التي ينبغي استعمالها لأجل ذلك دون أن تفقد (الأدوات) حسناتها الإجرائية في تعريفها نفسه، كما هو الحال عندما نتحدّث عن الجزيرة باعتبارها مكانًا موجودًا في الخيالي والعجيب والغريب... أو عندما نزاوج هذه الألفاظ بمفاهيم يكون استعمالها المحدّد وغير المحدّد بطريقة ذاتية وعاطفية مصدرًا للغموض أكثر منه مصدرًا للوضوح، إضافة إلى تكييف تاريخ كلّ ثقافة للأصناف الفكرية التي تتيح لها تحليل العالم. لذا ينبغي (كما يرى) تصنيفُها ودراستُها بوحدات مصطلحية دنيا عامّة، بصورة تفلت بها من كلّ علامة، ما يضمن لها الوجود في كلّ ثقافة. ولأنّ العجيبَ أو الغريب يتعارضُ كليًّا مع المعتاد المعيش يوميًّا، يشير بعدها إلى أنّه يولد -كما هو معلوم- من تغيير وضع أو ارتحال. لذا يبدو كما لو أنّه يستلزم تغيّرًا/مفارقة، والانتقال من فضاء إلى آخر حتى لو كان هذا الفضاءُ تجريديًّا، ملاحظًا ظهور ذلك بصورة جيدة في أعمال جول فيرن المختلفة، ذلك أنّه يَنتُج عن المفارقة المكانية وفي إطار زمانية (غير ملُزمة أحيانًا) ابتعادٌ إلى مسافة ما يسمح بانفلات

التأثرات والمشاعر، وهو حال دلالة الظروف التي ظهر فيها الانجذاب الغربي نحو الشرق في القرن السابع عشر وتطوره في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على محاولة الأوروبيين إيجاد مهرب من الانغلاق داخل ميتولوجيا التقدّم المادي الذي وضعتهم فيه عقلانية الأنوار، والبحث عن مُنْفَلَتٍ. هكذا أصبحت الثقافات المُكتشَفَةُ في "المكان الآخر" الشرقي هذا رسميًّا منتِجًا للعجيب ومصدرًا للشّعر، بينما لم تكن بالنسبة للشعوب المصادفة هناك سوى إطار عادي لحياتهم اليومية. ويشر من جهة أخرى إلى أنّ هذا الأمر هو بالضبط ما يأخذه سكان "الشرق"[1] على المستشرقين؛ إذْ يعتبرونهم مُهتمِّين أكثر بتأكيد ما يُمدُّهم به مخيالهم باعتبارهم غربيين من خيالات وأوهام عن الشرق، بدل اتخاذ هذا الشرق موضوعًا للدراسة المحايدة البعيدة عن العاطفة. المهمّ -كما يتابع قائلاً- إنّ الجزيرة البلاد التي لا توجد في أيِّ مكان تُعطي عن نفسها صورًا متعدِّدة بتعدُّد واختلاف زوايا النظر، وتقترح بنفسها وظائف متعدِّدة أيضًا، يُحيل بعدها إلى المداخلات (التي ضمّها الكتاب) التي تُبِينُ عن هذه الصور والوظائف.

(1) بالمفهوم الحضاري الشامل (البلاد التي تشملها الحضارة العربية الإسلامية) مقابل "الغرب" (البلاد التي تشملها الحضارة اليهودية المسيحية).

1.1.7. النقد الأدبي والثقافي وتحليل النصوص

اشتغل دانيال ريغ، إلى جانب محمّد أركون وندا طوميش (وجمال الدين بن شيخ، من جامعة باريس 8) وآخرين، أستاذًا بقسم الدراسات العربية والإسلامية، في جامعة السوربون الجديدة باريس 3، قبل انتقاله فيما بعد إلى المدرسة العليا للأساتذة. كانت المناهج اللغوية والنقدية المتّبعة في القسم والمُدرَّسة للطلبة –كما في معظم أقسام الجامعة- هي تلك المنبثقة عن النظرية البنوية والنقد الجديد، والنظريات الفكرية الحديثة الأخرى، فكانت مؤلّفات أقطابها هي مرجعياتهم النظرية. كان دانيال ريغ مولَعًا على الخصوص بطرائق التحليل السيميائي لمدرسة باريس[1]، فكان يُدرّسها لطلبته ويحلِّل في ضوئها –معهم- النصوص الأدبية (سردية بالدرجة الأولى)، وكانت لأدباء عربٍ مُحدَثين في معظمهم. كما كان يتّبعها في دراساته وأبحاثه النقدية التي يتقدّم بها في الملتقيات والندوات التي كان يشارك فيها.

من ذلك مثلاً تحليله لرواية عرس الزين للطيب صالح مرتيْن: الأولى قدَّمها مداخلة بعنوان "الخطاب الأدبي العربي

(1) كان يقول لطلبته في هذا السياق: "نصف ساعة من السيميائيات يوميًّا (يقصد دراستها والاطّلاع عليها) كفيلة بأن تجعل منك سيميائيًّا في آخر السنة الجامعية".

المعاصر" في الملتقى الذي انعقد بالكوليج دو فرانس/باريس يومي 4 و5 فيفري (فبراير) 1977، وكان موضوعه: الخطاب والكتابة والمجتمع في العالم الإسلامي المعاصر. أشار في بدايتها إلى أنّه أراد فقط أن "يفهم كيف أنّ إنتاجًا لغويًّا معيّنًا يتشكّل في خطاب أدبي في السياق العربي المعاصر[1]. منتقلاً بعد ذلك إلى تحديد مفهوم الخطاب والخطاب الأدبي، مُركِّزاً على حريته في التعامل مع مادّة مضمونه وعدم حاجته لِأنْ "يكون حقيقيًّا، أو أن يُصدّق كما هو ليضمن وُجودَه، ولن نحكم عليه أبدًا على أساس تطابقه مع أيَّة حقيقة كانت، بل نحكم عليه على أساس تركيبته وبنيته الداخليتين، أعني على أساس مقبوليته إذا حصرنا معنى المصطلحة"[2].

ينتقل بعد ذلك إلى إبداء ملحوظات عن الخطاب الأدبي العربي المعاصر في مختلف مستويات عملية "القول" مبنىً ومعنًى. سوى ما تعلَّق منها بالدلالة الصناعية للألفاظ (الصيغ الصرفية)، مشيرًا بالمناسبة إلى "المثنّى" الصيغة التي تكاد تنفرد بها العربية، والتي تتوسّط صيغتَي المفرد والجمع. أم تعلّق بالاستعارة (أي الاقتراض من اللغات الأخرى)، وهو

(1) ريغ (دانيال). الخطاب الأدبي العربي المعاصر. ترجمة إبراهيم صحراوي. الحياة الثقافية، عدد 35، تونس 1985. ص 133.

(2) نفسه، ص 134.

أمر متعلّق في الواقع بلغة الكاتب الثانية[1]. أو تعلّق باستعمال اللهجات في الأدب. أو تعلّق باللغة التقنية أو بالنحو. أو تعلّق بـ"القول-énonciation" وقضية حضور الكاتب أو غيابه في النص الذي يمكن استجلاؤها مثلاً في مبرّرات كتابة النصّ ودواعيه (مثل المقدِّمة والتصدير والإهداء والخاتمة...إلخ)[2]. أمثلة من إنتاج العربي المعاصر حتى تلك الفترة (منتصف سبعينيات القرن العشرين).

وقدّمها في الثانية بعنوان: Les Noces du Beau : alchimie littéraire au Soudan – عرس الزين" الكيمياء الأدبية في السودان"، في ملتقى: "Le merveilleux et la magie dans la literature – العجيب والسحري في الأدب" الذي انعقد في مدينة كون-Caen من 31 أوت (أغسطس) حتى 2 سبتمبر 1989[3].

---

(1) ليس شرطًا في رأينا - أن تكون اللغة الثانية للكاتب (الروائي خصوصًا) هي المصدر الوحيد لـ "مقترضاته"، في عصرنا هذا الذي يشهد وفرة غير مسبوقة في الوسائط الإعلامية التبليغية والتواصلية ثقافيًّا واجتماعيًّا. بل قد لا يكون للكاتب أيُّ لغة ثانية، ومع ذلك لا تخلو كتاباته من مقترضات/ مستعارات من اللغات الأخرى.

(2) وهو ما يدرس وِفق جانب من تقنيات الخطاب السردي لدى جيرار جونات في مستوى صيغ وكيفيات العرض السردي ومستويات السّرد والأصوات السردية.

(3) انظر الفصل الثالث من الكتاب.

قدّمها في كلِّ مرة بمقدمة مختلفة بحسب موضوع الملتقى، وإن كانت مقدِّمة الخطاب الأدبي العربي المعاصر أوسع وأطول من المقدِّمة التي صدّرها بها في ملتقى (العجيب والسِّحري في الأدب)، التي اقتصر فيها على تأكيد حرية الأديب[1] في إعادة تشكيل عالمه المروي والعلاقة بين الحقيقة والخيال فيه. ووظيفة التحليل التي هي في المقام الأول الكشف عن بنية العمل الأدبي بالتعرُّف على وحداتها وتوضيح كيفية ترابطها واشتغالها وميكانيزمات توليدها للمعنى، منصرفة عن إطلاق الأحكام القيمية. وبالمقابل، توسّع في التحليل هذه المرّة، مفصِّلاً في نقاط كثيرة ومُضيفًا نقاطًا أخرى عديدة استدعاها سياق البحث، وهو إظهار بنية ووظيفة العجائبية والغرائبية التي تكتنف رواية عرس الزين، سوى ما تعلَّق منها بالزين بطل الرواية نفسه، أم بالأشخاص المحيطين به، أو بالحدث أو بالفضاءات التي كانت مسرحًا له.

هذه العجائبية والغرائبية هما في اعتقادنا مبعث الـ"سحرية" الملاحظة على الأثر الأدبي، إضافة بطبيعة الحال إلى قدرات الروائي الفنية البنائية.

بقي أن نشير إلى أنّ عودة دانيال ريغ إلى دراسة رواية عرس الزين، والتوسُّع فيها بعد عشرين سنة تشي بإعجابه

(1) انظر هذه المقدّمة مُترجمة في الفصل الثاني من الكتاب.

الكبير بهذا النصِّ الجميل من نصوص الطيِّب صالح، وقد أفصح عن ذلك بنفسه في المرة الأولى[1]. كما قام بتحليل رواية العجوز لأفنان القاسم، وظاهرة السندباد البحري، ممّا أشرنا إليه في الصفحات السابقة.

1.1.8. ابن الجوزي، صيد الخاطر، ترجمة وتقديم وتهميش.

- **Ibn Al -Jawzi, La pensée vigile, Sayd al khatir Traduit de l'arabe, présenté et annoté par Daniel Reig.**

Sindbad, Paris 1986.

ظهرت الترجمة عن دار سندباد في باريس سنة 1986.

هو بحث جامعي. إحدى أطروحتيه على ما يبدو[2]. ترجم في 331 صفحة من القطع المتوسِّط فصولاً أو مختاراتٍ من الكتاب، بلغت 190 فصلاً أو فقرة من مجموع 373 فقرة أو فصلاً تضمّنتها النسخة التي نشرها الشيخ محمّد الغزالي. يقول أحد معارفه بأنّه كان مُغرَمًا بابن الجوزي[3]. تصرّف في عنوان الكتاب، فأصبح صيد الخاطر "الفكر الفَطِن"، بعد أن

(1) انظر: ريغ (دانيال). "الخطاب الأدبي العربي المعاصر" ترجمة إبراهيم صحراوي. الحياة الثقافية عدد 35/1985، تونس، ص 139.

(2) جريدة الحياة، 04 07 2007، مرجع سابق.

(3) نفسه. تجدر الإشارة هنا إلى أنّ صاحب المقالة (أحمد منصور الكاخي) شاركه مراجعة وتصحيح مخطوطتي معجم السبيل وكتاب التصريف.

استغرق أزيد من صفحة من المقدِّمة الوافية (الدراسة) لشرح معناه، وقد عرَّف فيها بالمؤلِّف، وقدّم فيها ملاحظات عدَّة على الكتاب، وأشار فيها إلى قضايا متعلِّقة به، سواء من حيث طول مدّة تأليفه، وجهل تاريخيْ بدايتها ونهايتها، أم من حيث توارد الأفكار وعدم خضوعها لترتيب مسبق، ما اضطرّ المحقِّقين (العرب) إلى ترقيم الفقرات أو الفصول و/أو إعطاء عناوين لبعضها. أو من حيث علامات حضور الكاتب والقارئ أو المخاطَب، أو من حيث كثرة الشواهد، آيات قرآنية كانت أم أحاديث نبوية شريفة، أو من حيث علاقة الإنسان المتناقضة بالعالم وما إلى ذلك. وقد لاحظ البعض على الترجمة بعض الهفوات ونقص الدقّة، برغم إقرارهم بجودتها[1].

1.2. **استخلاص**: لن ننهي هذا الفصل دون الإشارة إلى أنّنا لاحظنا، بعد استعراضنا للخطوط العامّة لفكر دانيال ريغ عبر كتبه ومقالاته ونصوصه، تواتُر ثلاث أفكار ورؤى ظلَّ يلحُّ عليها، يمكن اعتبارها مؤشرا على توجُّهه الفكري العامّ.

- يؤمن بالبنوية ومن ثم استلهامه لها ومقولاتها عبر تفرُّعاتها المنهجية، ما تعلَّق منها بالسيميائيات تحديدًا (مدرسة باريس)، وتأثُره بها في كتاباته وتدريسه للعربية وآدابها الحديثة وتبنِّيها أُفُقًا نقديًّا ومنهجًا تحليليًّا سار على هديه في قراءته

(1) انظر الفصل الثالث من الكتاب.

لنصوص إبداعية عربية حديثة، ودرَّسه لطلبته في الجامعات والمدارس العليا - أو حثّهم على دراسته - خصوصًا في قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة السوربون الجديدة باريس 3.

- تبنيه لفكرة العربية الحديثة، واستماتته في الدّفاع عنها. والمصطلح في نظره تمييز لعربية اليوم التي تختلف من جهة عن العربية الكلاسيكية التي هي - في رأيه - لغة ميتة ومندثرة وما عاد يتحدَّث بها أحد. بمعنى أنّها لغة ماضوية ليست مرادفة للمعاصرة ولا أداة للاندماج فيها. وتختلف من جهة أخرى عن العامية أو العاميات (اللهجات) المحكية هنا وهناك في مختلف الأقطار، والتي لم ترتق في نظره إلى المستوى الحضاري والثقافي المطلوب في عالم اليوم. "العربية الحديثة" اللغة الوحيدة الموجودة في العالم العربي، المنتشرة في مختلف مجالات الحياة اجتماعيًّا وثقافيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وإعلاميًّا وفكريًّا.

لكن يبدو أنّه قد غاب عنه أن المستويات الثلاثة متعايشة -كما يقرُّ هو رسميًّا في أحد كتبه[1]- بتناغم كبير في تسييرها للأمور الحياتية اليومية للعرب، أو مَنْ في حكمهم ممّن يعيشون في الحيِّز الجغرافي المسمّى بـ"العالم العربي أو البلاد العربية"، خصوصًا في التعليم بمستوياته المختلفة وبرامجه

(1) انظر الفصل الأول من كتاب رجل الاستشراق ص 49 (من ترجمتنا).

المتنوعة أو في الممارسات الدينية، وبدرجة أقلّ في الإعلام. العربية الكلاسيكية لم تمُتْ أو تندثر برغم انحصارها في حدود ضيِّقة من حيث الإجادة وتدنّي مستوى التمكّن. وقد ردَّ شارل بيلاّ على هذه الفكرة، فيما يشبه النّقد، في إشارته في نشرته النقدية في مجلّة أرابيكا عن معجم السبيل غداة صدوره[1] بأنّه لا توجد خطوط فصل واضحة بين ما أسماه ريغ بالعربية الحديثة والعربية الكلاسيكية، والأمر كذلك فعلاً، فكثير من المثقّفين العرب بمختلف مستوياتهم وأجيالهم – فضلاً عن الأئمّة والمرشدين والوعاظ والمشتغلين في الحقل الديني وطلبة كليات العلوم الشرعية، وبدرجة أقلّ طلبة كليات الآداب - ينتقلون بين المستويات الثلاثة، التي فصَل بينها ريغ بجدران سميكة بكل خفّة وسهولة. من هنا نلحظ غياب النصوص الأدبية/الفكرية من القرون الهجرية الأربعة أو الثلاثة الأولى مطلقًا عن دراساته وأبحاثه ومؤلَّفاته، وغيابًا تامًّا أيضًا للشعر، إذا استثنينا - بطبيعة الحال - ترجمته لكتاب صيد الخاطر لابن الجوزي، الذي هو أقرب إلى عصور الضعف والانحطاط منه إلى عصور الازدهار، وبدرجة أبعد قياسًا بالعصرين الجاهلي والإسلامي الأول.

(1) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

- تركيزه اللامتناهي على إنسية الاستشراق ودفاعه المستميت عن المستشرقين، واجتهاده في التماس الأعذار والمبرِّرات لهم كلّما تعلّق الأمر بتقاطع الاستشراق مع مؤسّستَيْ الاحتلال والتبشير، ونفي مسؤوليتهم عن الانحرافات (العلمية) التي قد تكون وقعت هنا أو هناك. والتأكيد على حسن نيتهم والطابع الإنساني والعلمي لأبحاثهم، ومساعيهم وحسن نيتهم في كلِّ ما قاموا به وأنجزوه. وبرغم الصحّة النسبية لموقفه هذا، وبرغم الدور الفعّال للمستشرقين في إحياء التراث العربي وبعثه من جديد، وهو دورٌ لا يمكن إنكاره، فإنّ الأمرَ لا يخلو من مبالغة.

ومهما كان من أمر، فإنّ الفكرَ الإنساني مهما كان حياده وتجرُّده يبقى ابنَ البيئة الثقافية والحضارية التي أُنتج ضمنها، وأسيرَ الظروف التي تكتنفها (وتكتنفه) عموديًّا وأُفُقيًّا، تعاقبًا وتزامنًا، سواء أتعلّق الأمر بجملة المستشرقين أم تعلَّق بهم فرادى، وهو ما يسري على دانيال ريغ نفسه.

ونختم الفصل بملاحظة أن الجانب التعليمي المدرسي البيداغوجي طغى على مؤلفات دانيال ريغ، فكان الوضوح أهمّ سِماتها، كما غلب من جهة أخرى جانبه اللغوي على جانبــه النقــدي الأدبي فكان أبرزَ وأوضح برغم ما سبقت الإشارة إليه من تحليله نصوصاً أدبية كثيرة متناثرة هنا وهناك

في كتب جماعية تجمع غالبًا محاضرات وأعمال الملتقيات الأدبية/الفكرية التي شارك فيها، وبرغم تدريسه للنقد الادبي سنوات عديدة بالجامعة.

الفصل الثاني
مقتطفات من مؤلَّفاته ومقالاته وحواراته

2.1. من لقاء أجرته معه دار لاروس عن معجم السبيل غداة صدور طبعته الأولى وصدر عنها في نشرة خاصّة

- ماذا تعني كلمة السبيل؟

- يعطي عنوان كتاب ما عمومًا بيانًا عن مضمونه (واحتمالاً) عن العلاقة التي تقوم بينه وبين مؤلّفه. كلمة "السبيل" هنا لا تعني شيئًا لجمهور غير معرّب. والعبارة التي ترافقها: قاموس عربي فرنسي وفرنسي عربي"، ليست سوى طريقة لإدماج هذا العمل ضمن مجموعة أوسعَ تحمل عنوانًا كثير الدلالة هو أيضًا: "سلسلة زحل". يتميز السبيل عن الكتب الأخرى التي تندرج ضمن السلسلة نفسها بالاختيار الذي قمنا به لعنوانه. والواقع أنّه وفقًا لتقاليد عربية تمتدّ إلى خمسة عشر قرنًا يتفرّد كل كتاب بعنوان يكون استعاريًا أحيانًا، وهو حال السبيل. تعني الكلمة شيئين اثنين: عين الماء العمومية من جهة، أي نقطة الماء، وهي عادة مكان للقاء، والدّرب أو (بنحو أكثر تجريدًا) الطريق الذي نسلكه نحو الخير والحقيقة.

- أين نضع السبيل ضمن الكتب الموجودة.

- منذ أن شرعت في دراسة العربية في المدرسة اكتشفت أن هناك فراغاً كبيراً في مجال تعليم العربية. وتأكّد هذا الشعور على امتداد تدرجي المدرسي ثم الجامعي. والواقع (وأقصر حديثي هنا على المجال القاموسي) فإن الكتب الموجودة لا تأخذ بعين الاعتبار سوى اللغة الكلاسيكية أو القديمة، إلى حدّ أن أحد قرارات مؤتمر التعريب المنعقد سنة 1961 في الرباط بالمغرب بإشراف جامعة الدول العربية طالب بما يلي:

- "...أ- يوصي المؤتمر بتأليف معجم حيّ يكون في متناول الجميع بسيط ومشتمل على العبارات العربية السليمة والجارية في العربية المعاصرة.

- ب- ستأخذ في الحسبان عند تأليفه كل الكلمات المستعملة في العالم الحديث بالنسبة لكلّ المواد. ينبغي لهذا القاموس أن يكون حصريًّا، شاملاً وواضحًا دون أن يكون مقتضبًا كثيراً.

- ج- ستؤخذ الكلمات من الكتب المدرسية والأعمال الجامعية والمنشورات العلمية والصحف والمجلات الكبرى إلخ...".

- تابعت عن قرب أشغال هذا المؤتمر، وكنت حينها مدرِّسًا شابًا للغة العربية، وتبنيت هذه التوصيات بتطبيقها على

الجانب المتواضع، جانب العلاقة بين اللغة العربية واللغة الفرنسية. والواقع أن القواميس العربية الفرنسية المتوفرة لدينا عندئذ كانت تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر، وكانت متجهة بدورها نحو العربية الكلاسيكية والقديمة. وإذا كان لها بعض النفع في قراءة لغة لم يعد أحد يكتب بها، لم تكن هذه القواميس تستطيع إرضاء عقل كان مقتنعًا بعمق بأنّ الحقيقة العربية هي حقيقة معاصرة.

- وككل معرّب شكّلتُ شيئًا فشيئًا مجموعة جذاذات. لديّ الفرصة إذن أن أضاعف وأعدِّد المراجع كي أنجح في أن أجعل منها كمًّا من لغة وظيفية حقيقية، لغة عربية يتعرّف فيها العرب على أنفسهم وفي الوقت نفسه يجدون فيها خيوط تقاليد كلاسيكية جدّ قوية. وأعطيت في المقدمة عناصر تخبر عن كيفية تشكيل مجموعة جذاذاتي.

2.2. رجل الاستشراق[1]

مسارات اللغة العربية في فرنسا

العنوان الأصلي : Homo Orientaliste, la langue arabe en France depuis le XIX siècle

"يستعمل مصطلح استشراق منذ 1838 للدلالة على الشغف

(1) الشواهد المُثبتة هنا مأخوذة من الطبعة الثالثة من ترجمتنا للكتاب الصادرة عن دار التنوير /الجزائر سنة 2013، 325 صفحة.

والافتتان بأمور الشرق، اللذيْن انتشرا أثناء الفترة الرومانسية، على أنّه يعني أيضًا الدراسات المخصّصة للغات شعوب آسيا وثقافتها وأخلاقها من البحر الأبيض المتوسِّط إلى بحر اليابان. لكن يبدو أنّ العالِم الذي نذر نفسَه لمثل هذه الدراسات قد سُمّي "مستشرق" قبل ذلك بكثير؛ إذْ إنّنا نصادف هذا المصطلح منذ سنة 1799 في أحد أعداد المجلّة.

"وتاريخ أول ظهور لمصطلح استشراق في الفرنسية (1838) المُشار إليه سابقًا يثير الدّهشة لتأخّره. ذلك أنّه موجود بالإنجليزية استنادًا إلى معجم أكسفورد Oxford English Dictionnary بمعنى: ذو الطّابع الشرقي. ومن شواهد استعمالاته بهذا المعجم: "هناك أمثلة عديدة من الاستشراق لدى هوميروس"، في معرض الحديث عن فرجيل. و"التنين علامة بديهية للاستشراق".

والواقع أنّ المعنى المعبَّر عنه في هذه الشواهد يتّصل بالمجال الأدبي. ويمكن أن نتصور بسهولة وجوده بالفرنسية واستعماله في الظروف نفسها. ولا يحتاج ذلك سوى العثور على حالات هذا الاستعمال... ويمكن إبداء ملاحظات مشابهة بخصوص مصطلح مستشرق. فقد لوحظ المصطلح في الإنجليزية منذ سنة 1683 بمعنى عضو الكنيسة الشرقية أو الإغريقية". وإذا وضعنا في حسباننا الوجود الفرنسي في المقاطعات العربية من الإمبراطورية العثمانية، حيث اضطلعت فرنسا بدور حامية المسيحيين،

أمكننا افتراض وجود هذا المصطلح في الفرنسية أيضًا. لكنّ أول حالة استعمل فيها بالمعنى الذي يهمُّنا هنا: "الشخص المستغرق في معرفة اللُغات الشرقية" تعود إلى سنة 1799م كما سبق، وهو حسب معجم أكسفورد تعريف صامويل جونسون منذ سنة 1779–1781.

إنّ الشواهد الفرنسية المأخوذة عن الجريدة الأسيوية 1824 وسلفستر دو ساسي 1810 ذات أهمية بالغة؛ لأنّها تظهر منذ البداية الغموض الذي يلازم مصطلحيْ مستشرق واستشراق على امتداد التاريخ. فالأول الذي يتحدّث عن الاسم الجديد يوضِّح أن التسمية "واحدة لكلٍّ الذين يدرسون لغات آسيا" مهما كان تخصُّص كلٍّ منهم. أمّا الآخران المأخوذان عن دو ساسي، فإنّهما يستعملان المصطلح العامّ للإشارة – بلا ريب وبصفة خاصّة – إلى المختصّين في دراسة اللغة العربية.

... وسنهتمّ خلال هذا العرض الخاصّ بالاستشراق المختصِّ في الدراسات العربية بالإجابة عن بعض التساؤلات التي قد تطرح من دون شكّ في هذا المجال. ونستطيع القول على أية حال إنّه إذا كان الاستشراق قد أُصيب بنوع من الكره أو الحساسية من قِبل بعض الأشخاص، فإنّ مردّ ذلك أسباب عارضة، كتوافقه مع لفظة استعمار مثلاً، أكثر منه أسباب موضوعية.

إنّ الاهتمام الفرنسي بلغات الشرق وحضاراته إذن كان موجودًا قبل أن تشير إلى ذلك لفظة متخصِّصة في القاموس. وقد كان مثار هذا الاهتمام، منذ نهاية القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر كلّه، هو الميل إلى المغامرة والإثارة أكثر ممّا كان الفضول العلمي. فقد أُهملت الدراسات حول الإنجيل والتخصُّصات الأساسية كالنحو، التي ازدهرت في هذه الفترة في هولندا وألمانيا، وتوجهت الدراسات في فرنسا إلى الجانب المثير والطريف في الشرق الذي تُظهره الحكايات بصورة أساسية. وهكذا كان هذا الاهتمام لفترة طويلة اجتماعيًّا أكثر منه علميًّا. وكان الاستشراق حينها نوعًا أدبيًّا وفنيًّا، شكّل موضةَ العصر، بل وأحدث تخصُّصًا آخر: "حكايات أو روايات الأسفار" التي كانت تلعب دورًا أكثر أهمية في نشر الأفكار عن الشرق، والمساهمة في الفكر الفلسفي من الدراسات في النحو العربي.

وفي حدود القرن التاسع عشر تزايد عدد الموسيقيين والفنّانين التشكيليين والرسّامين والشعراء والكُتّاب الذين أُطلقتْ عليهم هم أيضًا صفة المستشرقين، لتحقيقهم تواصل العادات الثقافية المعروفة في القرن الثامن عشر بتأليفهم لآثار أطلقوا عليها في أحيان كثيرة عنوان: شرقيات، دون أن يحسّوا بالحاجة إلى دراسة بلدان الشرق وثقافته عن قرب. ولم تكن

معلوماتهم عنه سوى معلومات عامّة، ويكاد انجذابهم نحوه يرتكز بصورة خاصّة على ميلهم إلى المكان الآخر الغريب والمُغاير لعالَمهم؛ لذلك لم يكن الشرق بالنسبة لهم سوى خلفية ومنبع عارض للإلهام ضمن ينابيع أخرى.

ومع دو ساسي انتقل الاستشراق إلى غزو المكتبات، وكاد يستقرُّ بها وإن لم يترك الصّالونات، وبالأخصّ صالونات الرسم والفنّ التشكيلي. فالعلماء المستشرقون لم يكونوا كلُّهم رحّالةً مغامرين. ولم يَقُدهم فضولهم أحيانًا إلى أبعد من مواقع عملهم، برغم أنّ هذا الفضول لموضوعات الشرق هو الذي حدا بهم إلى الانحباس طوال حياتهم داخل مكاتبهم، ودفَعهم إلى اكتشاف (والحثِّ على اكتشاف) لغات وحضارات شعوب تنتمي إلى عوالم مختلفة.

... وبسرعة، شَعَر عالم الفكر بضرورة توفر على نشرة منتظمة تصدر عن جمعية معترف بها. فظهرت إلى الوجود سنة 1822 الشركة الآسيوية، وقامت إثر ذلك بقليل بنشر دورية: الجريدة الآسيوية، التي لم تنقطع عن الصدور مرّة كلّ شهرين حتى يومنا هذا. وقد سبقت هذه المؤسّسةَ الاستشراقية في الواقع شركةٌ علمية نشّطها الرهبان الكبوشيون، الذين نشروا سنة 1744م مذكّرة اقترحوا فيها وجود: "مؤسّسة تقدِّم -من غير أن تتكفّل بها الدولة- خدمات مهمّة للكنيسة، وتصبح

ذات فائدة للعلماء ورجال الأدب، وتساهم في عظمة الأمّة".

ولأنّ هذه الشركة السابقة للشركة الآسيوية كانت محمية من دوق أورليان ابن الوصيّ، فقد اندثرت بوفاته سنة 1752، بعد أن كانت قد انحبست في إطار الدراسات اللاهوتية.

كان يجب انتظار سنة 1821 لتنبعث الفكرة مجدّدًا، ويتناقل العلماء مشروعَ قانون لإنشاء شركة جديدة وبرنامج واعد يتمثّل في:

- تأليف وطبع كتب في النحو ومعاجم وكتب أخرى ابتدائية معترَف بفائدتها، أو ضرورية لدراسة اللغات التي يجري تعليمها في الكراسي العامّة.
- المسابقة عن طريق الاكتتاب أو غير ذلك إلى نشر الأعمال المشابهة المؤلَّفة في فرنسا أو في الخارج.
- الحصول على المخطوطات الآسيوية، والنقل الكلّي أو الجزئي لتلك المتوفِّرة في المؤسّسات العامّة بأوروبا، والقيام بترجمتها أو تلخيصها.
- النشر الدوري لمجموعات مخصّصة للأدب الآسيوي لإثارة اهتمام الجمهور بالإنتاج العلمي والأدبي، وبمثيله ممّا يظهر في أوروبا.

وكان رواد المشروع يعدون بـ: أضواء جديدة لشرح العهود القديمة لشعوب الغرب ومصدر علومهم وفنونهم وآرائهم.

وفي توجّههم إلى المبشِّرين كانوا يعكسون تسهيلات جديدة في عملية التمسيح، كانوا يقترحون توثيقًا دقيقًا على الدبلوماسيين والتجار، وكانوا يَعِدون كلّ العلماء والشعراء بـ: اكتشاف النباتات المختلفة؛ كالخضر وتلك المستعملة في تحضير الألوان والنباتات الطبية التي ستكون استعمالاتها –المعتادة من الآسيويين- فتحًا عظيمًا للأوروبيين.

والتجارة مع: شياطين الشِّعر في الشرق ومنابع الفنّ، مما يجذب الشباب إلى هذا الكنز من الصور والنظم التي تركها لنا اليونان والرومان.

وعلى امتداد القرن التاسع عشر كلّه، كان المستشرقون من ذوي الأسماء اللامعة، سواء في فرنسا أو في غيرها، يتطلّعون إلى تقديم محاضرات فيها، كما كان الرحالة والدبلوماسيون يطمحون إلى مراسلتها، وكان نشاط الشركة موضوعًا لتقرير سنوي يُقدِّمه الرئيس أو الأمين ...

والشرق عند هؤلاء العلماء واسع. فقد كان كلٌّ واحد منهم يحسن لغتين أو ثلاثًا وأحيانًا أربع لغات، وكان مستعدًّا للاهتمام بأكثر من ذلك من اللغات الأخرى. بل إنّ هذا الشرق

لدى البعض كان يبدأ في أوروبا، ويمتدُّ من الدانوب إلى بحر اليابان متضمِّنًا إفريقيا أو جزءاً من هذه الأخيرة على الأقلّ. نرى إذن أن هذا العالَم الشرقي في اتساعه كان يضمُّ بلادَ شعوب وأعراق نُحِسُّ أن وجودها في هذا الإطار لم يكن لضرورة جغرافية محضة. وإذا حاولنا فهم هذه الظاهرة، فقد يستلزم الأمر معرفة القيمة التي أخذها مصطلح (شرق) في خطاب الغرب وسلوكه الإيديولوجي. فلنتوقّف قليلاً إذن عند ما يُسمّى بالمشرق.

إن هذا المصطلح في الواقع ينزع في ثقافتنا أحيانًا إلى الدلالة - وبصورة شاملة – على كلِّ ما ليس بالغرب. إلاّ أنّ هذا الأخير لا ينحصر فقط في تعريفه الجغرافي الخالص والبسيط والمتمثّل في نقطة الأُفُق التي تغيب عندها الشمس؛ لأنّ هذه النقطة تختلف باختلاف المكان الذي لوحِظتْ منه، وهو الاختلاف الذي يؤدّي دائمًا إلى تقدير نسبي للمقابل، أي نقطة الأُفُق التي تشرق فيها الشمس. هكذا ظهر في أوروبا في القرون الوسطى وراء ما يبدو أنّه تفريق جغرافي بسيط وطبيعي، تفريقٌ نَصِفه بالإيديولوجي اعتمادًا على تعريف للإيديولوجيا نراه لطابعه العمومي أوفر حظًّا لأنْ يكون خاليًا من الإيديولوجيا ...

لماذا تغيرت طبيعة هذا التعارض إذن بين الشرق والغرب، فأصبحت إيديولوجية بعد أن كانت جغرافية؟

إنّه ليس من الغرابة في شيء أن نتصور اليوم في عصرنا المتسِم بالدوران اللامتناهي إمكانية وجود الغرب إلى الشرق من المشرق ليصبح هذا الأخير مَغرِبًا لعالَم ثبتت دائريتُه. إنّ تكرّر هذه الخاصية الكونية شيء لم يكن بالإمكان تصوره في عقلية جامدة لعالَم منغلق ومحدود مثل عالَم القرون الوسطى في أوربا. فالتمثيل الجغرافي كان منحصرًا وموقوفًا في نظرة ثنائية للعالم المعروف، ولم يكن يمكن للشرق والغرب في خرائط تلك الفترة أن يكونا شيئًا سوى الشرق والغرب بمفهومهما الحضاري، ذلك أن الغرب قد تحدّد أنطولوجيًا في أوروبا...، وأظهر نفسه آنذاك كأرض مسيحية، أرض للوضوح والنُّظُم الإلهية يقابلها فضاء مُضبَّب وغامض لا يمكن تحديده إلاّ بالشرق، معمور بالكفار والملحدين (البرابرة، والوثنيون و... المسلمون)، وقد يُقال اليوم للاختصار (الإرهابيون العرب والمتعصِّبون المسلمون).

وهكذا لم تكن مناداة البابا أوربانوس الثاني بالحملة الصليبية الأولى سنة 1095 إلاّ إظهارًا لهذا التمايز الإيديولوجي في واقع مؤسّسة حربية، وإن كان هذا التمايز في الواقع قد استقرّ في ذاكرة الزمن. هذا التقسيم، كما يراه ماركو بولو لم

يكن إلاّ مثيلاً لذاك الذي كان قد انتظم قبل ذلك بكثير (القرن الـثالث الهجري/التاسع الميلادي) في الآداب الإسلامية الفقهية واللاهوتية والجغرافية وغيرها) بين دار الإسلام (الأراضي الواقعـة تحـت سيـادة المسلمين، الأراضي الإسلامية) ودار الحرب (ديار العدو، حيث يجب أن تنقَلَ الحرب المُقدّسة، الجهاد).

غير أنّ نظرة الغرب للعالم أخذت تتسع شيئًا فشيئًا لتشمل كامل الكرة الأرضية، وتكتشف في الوقت نفسه جزءاً من قوانينها العلوية، وبدأت ذهنية الحروب الصليبية لديه تفقد حِدّتها. ومع فلاسفة عصر التنوير بدأ إدراك جديد للشرق في الظهور ...

وكان الشرق بالنسبة للماسونية -التي ظهرت في إنجلترا، وبدأت تفرض نفسها شيئًا فشيئًا في فرنسا - الكلمة التي ترمز إلى الفضاء المقدّس منبع كل حكمة وجمال. وكانت اللوحة التي تمثّل الأصل الحقيقي للماسونية، والتي صُمِّمت سنة 1773م، تحمل في جزئها اليساري رموزًا شرقية تتمثّل في أهرامات الجيزة الثلاثة وأبي الهول والنخلة. وفي سنة 1773 أيضًا غيّر المحفل الوطني الفرنسي الكبير ... اسمَه أثناء جمعية عامّة إلى "شرق فرنسا الكبير"، ومذ ذلك التاريخ تبلورت مُثُلُ الأخوَّة والعدالة والتسامح التي عظّمتها الماسونية داخل

المحافل التي حقَّقت في فرنسا العهد القديم اتحاد النُّخَب التي انبثقت عنها الثورة التمهيدية سنة 1787/1788م.

نرى إذن أنّ شرقية الثقافة الأوروبية بدأت تظهر بأشكال متعدّدة، وكان الإحساس بأنّ الاختلافات المُسجَّلة بين الشعوب تتعلَّق بمجالات الفنون والعادات والمعتقدات بالطبع، لكنّها كانت بصورة عامّة مقبولة على الأقل في المجال الفكري. حقًّا لقد كان التبشير يكسب أراضٍ جديدة، لكنّ ذلك كان يجري على حساب الحروب الصليبية. وكانت الفترة فترة أنوار الموسوعيين، وليست فترة تحريض على الثّأر. وإنّه لأمرٌ بالغ الدلالة أن يتمكّن أحد هؤلاء الفلاسفة، وهو مونتسكيو- Montesquieu للنجاح الكبير الذي لقيه في عصره، أن يتخيَّل مثالاً مقلوبًا للنظرة الغربية.

...

كان الوصول إلى القرن التاسع عشر ومع نشوء طبقة بورجوازية تنشِّطها روح تجارية بشعة، موسومًا بنظرة حسابية إلى الكون، فغدا الشرق حينها عالَمًا للاكتشاف والجرْد، وربما لم يكن القصد استغلاله مباشرة في البداية على الأقل؛ لأنّ النزعة الإنسانية والكونية كانت ما تزال قوية، والتفكير الرأسمالي لم يتبلور بصفة كافية بعد. وكان الفضول العلمي هو الذي يدفع بالمسافرين وقتها أكثر من غيره إلى اكتشاف

بلاد ولغات شعوب أخرى. كان عالم الغير هذا هو الذي تواصلت تسميته بالشرق. وكان المستشرق هو الوسيط المعلِّم في اكتشاف مجاهله.

هذا هو السياق الذي أُحدثت في إطاره - كما يبدو لنا - المؤسَّسة المشهورة التي حملت إلى عهد قريب تسمية مدرسة اللغات الشرقية الحيّة. وتاريخها هو نفسه تاريخ الاستشراق الفرنسي، أي تاريخ الصورة أو الكيفية التي كان يُنظر بها إلى الشرق. وقائمة اللغات المُدرَّسة بها والتواريخ التي أُدخلتْ فيها إلى المدرسة بالغة الدلالة في هذا الصّدد.

...

إنّـه لمـن الواضح أنّ الاهتمامات السياسية والتجارية للسلطات والأنظمة المختلفة المتعاقبة من المَلَكية إلى الجمهورية الثالثة لم تكن بعيدة عن الدّفع والتحريك اللذيْن كانت تشهدهما لغات الشرق وحضاراتُه أقصاه وأدناه.

...

ينبغي القولُ إن العالَم العربي موضوع الدراسات الاستشراقية المتخصِّصة لم يستطع دائمًا، أو لم يعرف كيف يُثمِّن حاضرَه اللساني؛ لأنّه يعيش ماضيه مرّة أخرى. فهو رهين الأساطير الخاصّة به، وقد ازدادت شدّة هذه الأساطير أثناء السيطرة

العثمانية التي عاشها، ثمّ السيطرة الأوروبية فيما بعد، كما لو أنّ العرب وهم أسرى حقيقة لم يتوصّلوا إلى الآن إلى السيطرة عليها - سواء أكانت هذه الحقيقة سياسية أم اقتصادية أو اجتماعية لغوية - يحيدون عن هذا الحاضر؛ لأنّه لم يستجِبْ لانتظارهم، وينصرفون إلى الاحتماء بعظمة الماضي الزائلة.

- من الفصل الأول : اللغة العربية : الأسطورة والواقع .

أُنتج الاستشراق إذاً بالشكل الذي سنحاول تحليلَه بالمركزية الأوروبيـة المثاليـة والتوسّع الاستعماري المنتصِر في القرن التاسع عشر. وكان مدفوعًا في مساره التاريخي بالتأثيرات التي تعرّض لها بلا وعي بسبب أصوله، أو الضغوطات التي مارسها عليه العالَم الذي كان موضوعًا لدراسته. وقد ساهمت دراساته المتخصِّصة في العالم العربي، والتي كانت نتيجة لهاتين القوتين المتعارضتين، في تشجيع اكتشاف أفضل ومعرفة أعدلَ بهذا العالَم من جهة، وشاركت في اكتشاف تراثه من جهة أخرى. على أنّ الاستشراق قصّ جناحيه بنفسه أحيانًا كثيرة لانحباسه داخل أصوله وتوقيره لمشروعه الدِّراسي، هذا التوقير الذي لم يسمح له بالتحرُّر من الأساطير العربية بدوره. أولى هذه الأساطير وأقواها تلك التي لها علاقة باللغة العربية، فلم تُثِر ظروفُ تطوّرها في الماضي ولا ظروف وجودها في

الحاضر، دراسات متحرِّرة بصورة كافية من الضغوطات الإيديولوجية لتكون مضيئة وواضحة.

...

يبدو أنّ أحد أسباب هذا الإنكار كامنة في سرِّ علاقة العربي بلغته؛ إذْ تُقدّم لنا هذه اللغة في الواقع على أنّها لغة مقدّسة، قدّستها على أيّة حال الظروف التي جعلتْ منها لغةَ القرآن... وإذا لم تُشكِّلْ هذه الميزةُ الخاصّة وبهذا الشكل الحادّ عائقًا لتفكير كبار اللغويين الأوائل، فإنّها شلّتْ البحثَ اللغوي لفترة طويلة بعد ذلك... إنّ أسطورةَ العربية الكلاسيكية، اللغة الأصلية، قوية إلى حدٍّ يجعل الكثيرَ يتصورون أنّ العربية التي وُلدتْ مع القرآن في عظمته، هي اللغة التي يتحدّث بها أهل الجنّة، لكنّ الانحطاط أصابها في هذه الحياة الدنيا في مواجهتها لتحولات العالم... نلاحظ أنّ... المقاومة كبيرة لكلِّ رغبة في تحرير العربية من الطوق الميثولوجي الذي يفرضه عليها ماضيها لفهم طبيعة عملها ثنائيِّ المستويات أو ثلاثيِّها.

... والمستشرقون، على الأقلّ أولئك الذين تلقّوا تكوينًا جيِّدًا في اللسانيات العامّة، والذين يمكن أن يفيدوا إفادة مهمّة في هذا المجال، يهملون عمومًا العربية الحديثة التي مازالت تُسمّى في الوقت الحالي فصحى باعتبارها أدبية، وبالتالي فهي في حكم المصطنعة.

... ومع ذلك يبقى الغموض يكتنف عبارة: اللغة العربية بمجرّد ذكرهـــا. ذلـك أنّها لا يمكن أن تعني بالنسبة للبعض –وهذا كموضوع للدراسة على الأقلّ– سوى اللهجات. وعلى العكس من ذلك بالنسبة للبعض الآخر، فاللغة المقصودة هنا هي اللغة القرآنية وبصورة عامّة اللغة الكلاسيكية. أمّا اللهجات، فلا يُعاد تقييمها في هذه الحالة إلاّ إذا قُصد بها مشابهة اللغة الكلاسيكية لا غير.

... إنّنا نعلم اليوم أنّ عربية القرآن ليست سوى شكلٍ من أشكال العربية التي كانت مستعملة في الجزيرة العربية، تطوّرت كلغة تامّة بعد ظروف خاصّة. ثمّ أصبحت لغة الثقافة العربية هذه لغةً رسمية إثر قيام الدولة الإسلامية. وتطورت تطورًا متميِّزًا ومنتظمًا بفعل وضعها الرسمي. وفي المقابل، فإنّ اللهجات المختلفة التي أُدِّيتْ دائمًا بخصائص محلية دون أن تكون أبدًا لغات وطنية، ليست نتاجًا مشوّهًا لتحوُّل كثير أو قليل الخطورة لِلُغة أصلية قد تكون اللغة العربية.

... إنّ اللغة العربية هي إحدى أقدم اللغات الكونية. لكنّ ثقلَ المعجم الناتج عن هذا القِدم يشكّل عائقًا يضايقها في عملية التقدّم والازدهار من جديد، ويقيّد التواصُلَ الجيِّد للدول العربية، ونحن نعلم مثلاً أنّ مقاومة الأمية تجد صعوبات جمّة في هذه الدول. غير أنّه لا يبدو أن وضعية اللغة العربية أو

المهمّة ذات الطابع الاستعجالي قد أدّتا إلى عمل مهمٍّ في مجالات البحث الأساسي كلّها...

كان هذا اعترافا بأنّ اللغة العربية توجد في مصادر أخرى غير المعاجم القديمة. وهي كلُّها عتيقة كما رأينا. وكان دعوة لمعجميّي القرن العشرين لإعادة كلّ العمل الذي تحقّق قبل ذلك بأربعة عشر قرناً من أوله إلى آخره. كانت الفكرة جذّابة، لكنّ تجسيدها كان يستلزم مهمّات أولية شاقّة وغامضة: تفتيش المدونة تفتيشًا دقيقًا صفحة بصفحة، وتدوين الكلمات المصادفة كلمة كلمة... ولم يتحقّقْ أبداً قرار المؤتمر الأول للتعريب إلاّ بصورة عابرة بواسطة "السبيل".. لكنّ السبيل عمل مستشرق مستعرب، وليس إبداعًا عربيًّا. ص 57".

... إنّ للمستشرقين المعاصرين، والفرنسيين منهم على وجه الخصوص، بعض الحقِّ أحيانًا في عدم الشعور بالارتياح...؛ فإنّهم يعلمون بأنّهم متابعون ومحكوم على أعمالهم. إنهم يشعرون بأنّ الاستشراق قد اتُّهم بالتعـــاون مع المؤسّسة الاستعمارية، بل إنهم مُتّهمون بنهب التراث الثقافي العربي، أو بتشويهه على الأقــلّ بــرؤى هدّامة، وبالمقابل فإنّه من الصّعب عليهم هم أنفسهم التخلّص من نظرتهم المتعجرفة لأعمال نظرائهم من الباحثين العرب.

والواقع أنّ الماضي يؤثّر بثقله على الدراسات الفرنسية

المخصّصة للثقافة والحضارة العربيين. ص 59.

(...) والنظرة العامّة التي يمكن إلقاؤها منذ الآن على الاستشراق الفرنسي المتخصِّص في الثقافة العربية الإسلامية تُظهر ثلاثةَ نماذج من النشاط مرتسمة بوضوح، حتى لو حدث على مرّ الزمن أن تداخلت أطرافها في بعض الأحيان:

- **النموذج الأول** : موسوم بالإنسية والتعمُّق في دراسة الأدب والثقافة العربيين. والسِّمة الغالبة على النشاط في هذا المجال هي البحث.
- **النموذج الثاني** : نشاط ميداني في الوسط العربي، يتمثّل في الترجمة الشفهية والكتابية (النقل) والملاحظة. ويأخذ هذا النشاط طابعًا إتنوغرافيًّا في بعض الأحيان.
- **النموذج الثالث** : يتحقّق في التعليم.

هذا النوع الثالث من النشاط هو المطبوع أكثر من غيره بالجماهيرية في هذا الربع الأخير من القرن العشرين...

- من الفصل الثاني

... ومن رحلة وأطلال فولناي، ثم ذكريات ألفونس دو لامارتين، وانطباعات إسكندر دوماس المكتوبة انطلاقًا من مذكرات رحلة قام بها صديقه الرسّام دوزانس، إلى آخر

روايات أندريه ميكال "ليلى عقلي" التي تطبعها ثقافة استعرابية واسعة، وتحرِّكها من الداخل قوة ميتولوجية - يساهم كل عمل في فرنسا في هذا المجال في إيجاد صورة للعالم الإسلامي- وللغرب والشرق بعيدة عن أن تكون رديئة أو عديمة الفائدة، وإن لم تكن صادقة تمامًا ودقيقة في عكسها للواقع. وهكذا فإنّ كلّ جيل من الفرنسيين يتأثّر في صياغة نظرته إلى العالم العربي بالنظرات السابقة التي تشكّل في جزء منها نظرتَه الخاصّةَ هذه.

وإذا كانت أولى ترجمات "ألف ليلة وليلة" ونشر رحلة دو شاردان-de Chardin تعودان إلى فترة التحول بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، فإنّه يمكننا القول -والأدلّة على ذلك متوفّرة- أنّهما لعبتا دورًا مباشرًا أو غير مباشر في ظهور حالة فكرية جديدة في فرنسا. هذه الليالي... وهذه الرحلات سمحت في الواقع لكتّاب وشعراء وفلاسفة وعلماء آثار بالحلم، وسمحت عبر هذا الحلم ذاته لأحفادهم بالحلم هم أيضًا. ص 82-84.

... وقبيل الثورة الفرنسة كان الشرق حاضرًا في كلّ مكان في فرنسا كما في أوروبا منذ أكثر من قرن من الزمن، فقد صادفناه في "الرسائل الفارسية"[1]، كما صادفناه في حكايات

(1) من تأليف مونتيسكيو.

فولتير، وهـو معـروف من طرف ديدرو... وشكّلت رحلة فولناي المنشورة سنة 1788 مرجعًا هامًّا لحملة نابليون على مصر إن لم تكن دليلاً لها. وهكذا أمكن القول منذ سنة 1740: "يعرف الناسُ النيلَ كما يعرفون السينَ، حتى الأطفال وصلت مسامعهم أصوات شلاّلاته ومصبّاته.. الأهرام أشياء تُحُدِّثَ فيه طويلاً، حتى إنّ من يشرع في إضافة معلومات إلى ما لدى الناس عنها، هو كمثل الذي يريد أن يعرِّف الباريسيين بسان-دوني، St-Denis[1]، ص 89.

... المصاعب وظروف الحياة الصّعبة في موانئ الشرق والمدن العربية على الخصوص، هي التي تدعو الدبلوماسيين إلى العزوف عنها. فلا القاهرة ولا البصرة ولا طرابلس... تروق الموظّفين الذين يضطرون أحيانًا إلى البقاء فيها لفترات طويلة في ظروف نفسيـة ومادية لا توفّر لأحكامهم الرصانة المطلوبـة... وحـدها كانت حلب تتمتّع من بين كلّ مدن وموانئ الشرق باعتبار الموظّفين الدبلوماسيين، وهي مدينة بهذا الاعتبار لقربها من عاصمة الإمبراطورية: القسطنطينية، التي كانت لفرنسا بها مكانة تُحسَد عليها منذ فترات متقدّمة. ص 100.

(1) ضاحية باريسية، المقاطعة 93 في فرنسا.

- من الفصل الرابع : على حافة الموسى

إنّه من الصّعب -كما نرى - أن يفلت الإنسان من قبضة الزمن الذي يعيش فيه، حتى إن كان أملُه هو الانزواء داخل مكتبة ما. وكلّ الشخصيات التي حاولنا بعثها برسم ملامحها وبالحديث عن أعمالها، رأتْ نشاطها الاستشراقي يندرج بصورة مباشرة أو غير مباشرة ضمن السّير العامّ للدولة التي ينتمون إليها.

لقد وضعوا كلُّهم مهما كانت صفتهم، تراجمة أو قناصل في ظلّ النظام القديم أو الجمهورية أو الإمبراطورية معارفَهم عن لغة البلد والسكّان الأصليين الذين قاربوهم في خدمة إدارة لم تحسن الاعتراف لهم بالجميل دائمًا.

...إذا لم تكن مدرسة اللغات الشرقية قد وجدت السبيل بعد إلى تكوين التراجمة الذين كانت فرنسا بحاجة إليهم كما كان يريد لها منشؤوها، فإنّ غزو الجزائر سيعطيها وبسرعة فرصة تظهر من خلالها أهميتها وضرورتها. وبرغم أنّه كان يجب انتظار سنة 1863 لكي يتمكّن تلاميذها من متابعة دروس في العربية الجزائرية، فإنّ خرّيجيها قد وجدوا ابتداءً من سنة 1830 ميدانَ عمل طبيعي في المستعمرة (...) على أنهم كانوا يصبحون فيما بعد أساتذة للعربية أيضًا (...) غير أنّه يظهر في

بداية التدخّل الفرنسي أنّ التراجمة الذين كان عليهم أن يلعبوا دورًا جدَّ مهِمٍّ حين الإنزال، مثل ذاك الذي لعبوه بإشراف "فنتور دو براديس" أثناء حملة نابليون على مصر، لم تكن لهم معرفة كبيرة باللغة التي يفترض أنهم يتحدّثونها في هذا البلد، وفيما عدا إبراهيم دانينوس المولود بالجزائر والمترجم بالمحكمة التجارية بالسين، قبل تعيينه دليلاً - مترجمًا لدى أركان حرب الجنرال دو بورمون، فإنّ كلّ مترجمي الحملة كانوا اختصاصيين في اللهجات المشرقية. ص 191.

لقد عومِلت العربيةُ على أنها لغة ميتة؛ لأنّ الوسائل لم تتوفّر للمسؤولين عن تعليمها كي يتحقّقوا من كونها لغة حيّة، وليس فقط في صورتها الدارجة. ص 200.

من الاتجاهات التي سبق أن اقترحنا تحديدها في الاستشراق الفرنسي، عدا ذاك الذي وصفناه بالإنساني والمتعمّق في البحث، الاتجاه المطبوع بالملاحظة الإتنوغرافية... ربما كان علينا أن نبدأ به بما أنّ فرص ظهوره زمنيًّا في القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت أوفر من فرص الاتجاه الأول. بالطبع لا نعني الإتنوغرافيا بأتمِّ معنى الكلمة، بل نعني أساسًا الملحوظات التي وردت في حكايات الأسفار التي كانت لنا فرصة الإشارة إليها. إنّ الفضول الذي لم يتوقّف عن دفع المسافرين نحو

الشرق منذ نهاية الحروب الصليبية حضّر الأرضية على نحو ما للتعمّق في البحث وللإتنوغرافيا. فالملاحظون لم يعودوا أبدًا فضوليين بسطاء، أو كما نقول اليوم سواحًا بسطاء حقيقيين أو مزيّفين، بل هم مسافرون نزلوا أراضي غير معروفة، لكنّهم في بعض الأحيان - ومهما كانت صفتهم - عسكريون أو علماء آثار أو عسكريون تكونوا نظريًّا لممارسة العربية وفهم الإسلام. حيث إنّ الاستشراق أصبح منذ ذلك الحين بإزاء الحقائق الواضحة، ولم يعد مفصولاً عن موضوع دراسته بالبعد الجغرافي أو التاريخي، وإنّ هذا البعد في الواقع هو الذي يحميه في تميّزه الأكاديمي... لقد أصبحت أرضية مسار المستشرقين هي نفسها أرضية مسار جيوش الاحتلال والغزو، وأصبح المستشرقون مستشارين لهؤلاء وأساتذة للعربية، كما أصبحوا فيما بعد مستشارين لضبّاط الشؤون العسكرية الإسلامية ومراقبين مدنيين في تونس والمغرب، وأصبحوا يقضون أو يبدؤون على الأقل فترات خدماتهم التعليمية في الجزائر.

إنّ الاهتمام بأخلاق الشعوب والجماعات المحلية وعاداتها الذي رأيناه يتزايد شيئًا فشيئًا يترجم احتياجات جديدة بالنسبة للاستشراق الفرنسي على الأقلّ. بما أنّه تأكّد أنّ هذه الاحتياجات سياسية، ولنقلْ إيديولوجية أيضًا بمفهوم ماركسي؛ لأنّه يمكن

فهمها كغطاء فكري أو تبرير أخلاقي، وهو إن كان على وعي بذلك أم لا من نتاج المحتلّ بغرض إخفاء سيطرته. كما كان يجب أيضًا فهم الشعوب العربية في قسم كبير منها، والبربرية في بعضها بعد قهرها، ثمّ إقناعها بأنّ المستقبل مع المحتلّ، وألاّ مستقبل لها بدونه. وهكذا فإنّ الاستشراق كان يسلك شيئًا فشيئًا طريقًا يمرّ على حدّ الموسى، إن أردنا التعبير عن ذلك بطريقة مسرحية بعض الشيء.

لقد عمَّ الاحتلال كنظام احتلال مباشر للأرض. وراح الاستشراق يبحث عبر النظـــرات التي يلقيها على الحضارة العربية الإسلامية عن أهداف واضحة وعملية أكثر فأكثر.

لقد كان لمستشرقي الميدان من دون شكّ، وربما للمستشرقين المستقرّين أيضًا، الرغبة المؤكّدة علنًا في بعض الأحيان في المشاركة في مؤسّسة السيطرة التي يمثّلها الاحتلال. وهذا بالضبط ما أردت أن أبيّنه مع الاعتراف بأنّ هناك مشاركة في حالة فكرية منتشرة بقدر ما هنالك من إرادة متعمّدة لتأكيد قوة معينة. نحن نعلم أنّه ليست هناك نظرة صافية أو أكثر براءة في ماضيها منها في حاضرها، وأنّه ليس باستطاعة أحد أن ينظر إلى الآخر كما هو نظرة كاملة الموضوعية. كان الحضور الاستشراقي في فرنسا آنذاك يتّسع في نطاق مجتمع يطمح إلى فرض نفسه في العالم. وإذا كان مستشرقو هذه المرحلة

الفرنسيون قد ساهموا في نشْر صورة تعتبرُ الآن خاطئة عن الإسلام والعرب، أو تركوا هذه الصورةَ تُقدَّم، فإنّه لم يكن بالإمكان تجنُّب ذاك. فنحن نعلم مثلاً مدى الصعوبات التي تعترض العالِم إذا أراد إسماعَ صوته حين يكون السياسيون يتحدّثون، حتّى إن استشير.

إنّ للكراهية والطيش دائمًا - وللأسف حضورًا أكثر من حضور الذكاء والأمانة، وهي قضية قوة مقنعة. إنّ المستفيدين من المستعمرات -مهما كانوا ومهما كانت هذه المستعمرات، وحيثما وجدت - يجدون دومًا الوسائل لتحويل القرارات الإنسانية العادلة وتوجيهها لمصلحتهم، أو جعلها وبمهارة غير عملية إذا كانت تضايقهم في تعزيز سلطاتهم، فقد هاجمت الصحافة في معظمها في الجزائر وفي فرنسا إسماعيل أوربان بشدّة، لأنّه حاول أن يقنع الرأي العامّ الفرنسي والحكومات بأنّها تقترف أخطاءً فادحة في الجزائر، بل إنّها تقترف جرائم ضدّ الإنسانية ...

لا يجب أن ندين الاستشراق فقط لأنّه من أوروبا الغازية. إنّ صفات الفعالية والصرامة والتقدّم الأوروبية كانت مأخوذة حينئذ كحقائق صقلها مطــولاً غليان الأفكار والنضالات... الذي كان يحرِّك أوروبا منذ قرنين من الزمن. وبالمقابل فإنّ الملحوظات التي كانت تُسجّل عن الشرق كانت تتحدّث كلها

عن الروعة والترف الحاصل هناك. كما كانت تتحدَّث أيضًا عن الانحلال والبؤس. وبالمقابل فإنّ ملاحظة هذه المساوئ وتلك المزايا تشكّلت كإيديولوجية نظرًا لاستمراريتها فيما يشبه الخلود. تمامًا كما رسّختها الطريقة التي كانت تُروى بها. ذلك أنّ الأساطير لا تترسّخ إلاّ بالتكرار. وإذا أردنا أن نعمل للأمور حسابها اليوم، علينا أن نلقي عليها نظرة من مسافة تبتعد عنها بالقدر الذي يمكنِّنا من تجنّب الاتفاق الطوباوي. أن يكون مستشرقو القرن التاسع عشر قد أذنبوا بإفراط في الثقة، أو تجاوز لحدود مهمّة الاكتشاف والمحافظة التي يبدو أنّ السلطات قد عهدت بها إليهم بسخاء أمر لا شكّ فيه. فقد كانوا مدفوعين بحماسة المكتشف. أيجب الحكم لذلك بتجريم أعمالهم وإرجاعها لمجرّد النهب؟

هل يجوز لداعية السلام أن يرفض المرور فوق جسر ما لأنّ المهندسين الذين أشرفوا على بنائه قد أدخلوا في حسبانهم معامل مقاومة كافية لمرور فرقٍ مدرّعة؟ ثمّ هل يجوز لمن كان مستعمَرًا ثمّ استقلّ أن يُتلف قنوات الاتصال التي أحدثها المستعمِر لتلبية احتياجاته الخاصّة؟ وهل يجب تجريم كلّ الإيديولوجيات (الدينية أو غيرها)، التي استطاعت لفترة ما أن تساعد على تقدُّم أفكار إنسانية معينة؛ لأنّ مبشِّرين عسكريين بعض الشيء أو عسكريين مبشِّرين بعض الشيء لم يُوفِّروا

سوى الكلمة الطيبة أو السيف، قد ساعدوا على نشرها في العالم؟

قد يكون في هذا الرأي إفراط مشبوه هو الآخر. مثله مثل ذاك الذي يُراد تجريمه، وشكل من العنف لا يُحتمل مثل العنف الذي كان أصلاً له. إنّ الأمر لا يتعلّق هنا بالحكم بإحراق أعمال مستشرقي هذه الفترة بدعوى أنها أُنتِجت في السياق الإيديولوجي للتوسع الاستعماري الفرنسي. إنّه في الواقع يدعو إلى تحليل دقيق لهذا الاستشراق.

نعم، لقد شارك هؤلاء العلماء في المغامرة الكبرى للتوسُّع الأوروبي في القرن الـتاسع عشر. لكن ليس أكثر أو أقلّ من هذا الكاتب أو ذاك، أو ذلك الفنّان الذي ساهم بفعل الوساطة الإعلامية دونما رغبة منه في نشر صورة مُطمئِنة للاحتلال، تعبِّر عن طيب السّريرة إن لم تكن مُمجِّدة. لقد انتشرت بفعل هؤلاء أيضًا بالطبع فكرة الشرق المُهدَّإ، المُمدّن بالحضور الأوروبي، حتى إن كانت هذه الفكرة مغلَّفة بنوع من الحنين في بعض الأحيان...

- من الفصل الخامس : الاستشراق بلا مشروع

"والواقع أنّ كلّ البناء الذي أقمناه بتؤدة لشخصية المستشرق بتدرّج انطباعي، وبقدر يُوازيه من البرهنة التحليلية، يهدف

إلى إظهار أنّ كلّ مستعرب فرنسي أيًّا كان الجيل الذي ينتمي إليه، وإضافة إلى بنيته الفكرية وطبعه، مصحوب في كلّ خطواته بالثِّقل السوسيولوجي للعلم الذي ساهم في تشكيله، ذلك أنّ الاستشراق عِلم، حتى إن لم يكن العلمَ كلّه كما كان الحال لفترة معيّنة أثناء القرن التاسع عشر. والحال أنّ تاريخ علم ما، هو أولاً تاريخ خطابه النموذجي حول هدفه أو حول موضوعه. وهو بهذا الأمر ذاته تاريخ الطريقة التي أدرك بها الهدف المعني ...

هل صادف الاستشراق ضرورة ملحة لمعرفة أنّ الشرق موجود كماهيَّة؟ كان يكفي بالنسبة إليه أنّه عرف كيف يعطي لنفسه سواء أكان أدبيًّا أم جامعيًّا تمثيلاً مكّنه خلال قرنين من الزمن على الأقلّ من أن ينطبع بديناميكية داخلية قوية. وإلى هذا الحدِّ فقط يمكن قياس فاعلية فكر ما، أي إيديولوجية ما، أي دينٍ ما. وكنّا والحال هذه قد قلنا إنّ العالم في سيْره قد جرّد الاستشراق شيئًا فشيئًا ممّا كان له من التمثيل للمشرق. إنّه مطالب من الآن فصاعدًا بالتلاؤم مع هذه الوضعية الجديدة. أن يعي في البداية التطورات الحاصلة، ثمّ أن يعيد تفصيل بدلته بعد ذلك ... ص 267-268.

وهكذا سجّلنا أنّ النظرات التي أُلقيت ضمن الاستشراق المستعرب على اللغة العربية وثقافتها، كانت لها دائمًا نزعات

إلى تعظيم الماضي بآثاره الفكرية الكبرى في ذات الوقت الذي تشكِّله فيه لجعله متوافقًا – وهذا طبيعي- مع الفكرة السائدة...

إنّ الشغف الذي قلنا إنه سكن هؤلاء العلماء الباحثين في القرن التاسع عشر قد تعمَّق وانتظم بفعل مشروع غزو الشرق الذي استقرّ في العقول شيئًا فشيئًا. والواقع أنّ هذا الشغف جعل هدفه اكتشاف ماضي الشرق، وهذا ما يؤدّي بالمقارنة إلى توضيح بربرية حاضره، وعندئذ تصبح عملية التمدين التي يدّعي الاستعمار أنّه يقوم بها مُبرّرة. ومع ذلك فإنّ الحاضر هو الذي سيثير الاهتمام أكثر فيما بعد. ص 270- 271.

هناك مجال آخر يفلت كلية من الاستشراق المتخصّص. إنّه الإعلام، حيث تمتلك وسائلُه عمومًا متخصِّصيها -التابعين لها وحدها- في القضايا الشرقية، حتى إن كان في مصطلح المختصِّ هنا بعض الإفراط، فالصحافيون ليست لهم سوى نظرة ضيِّقة للمشكلة، ولا يملكون القدرةَ على وضعها ضمن إطارٍ عامّ من جهة، وكبار المحقِّقين والمراسلين الصحفيين ليس لهم الوقت دائمًا برغم بعض الاستثناءات للتخصُّص أثناء تأدية مهامّهم من جهة أخرى. ومهما يكن، فإنّهم أصبحوا هم الذين يساهمون الآن في إيجاد الصورة الجديدة للشرق في أوساط الجمهور العريض الذي بدأ يجد نفسه أسيرًا لهذه الصورة شيئًا فشيئًا، كما كان أسيرًا للصور السابقة. وحتى

المستشرقون أنفسهم بدؤوا يتّخذون الخطاب الصحفي مرجعًا. هؤلاء الصحفيون المختصّون ليسوا بحاجة إلى معرفة اللغة العربية القديمة. تكفيهم معرفة العربية الحديثة وشيء من اللهجة عند الاقتضاء ليقرؤوا المصادر التي هم بحاجة إليها، ويتمكّنوا من محاورة الشخصيات التي تهمّهم. إنّهم –وهم يقطعون العالم العربي، مُلاحظينَه بصورة سريعة ودارسينَه فقط في جانب دقيق يتعلّق ببرنامجهم الصحفي- ربّما هم المستشرقون الجدد. ص 291-292.

إنّنا نشهد منذ 1950 حركة تثقيف فريدة في البلدان العربية بعد الحصول على الاستقلال. ويمكن القول إنّه تمّ في الثلاثين سنة الأخيرة طبع أكثر من خمسة آلاف مجموعة قصصية، وما يماثل هذا العدد تقريبًا من الروايات في العالم العربي[1]، دون حساب المائة صحيفة التي تنشر يوميًّا أو أسبوعيًّا آلافَ الصفحات. ولأنّ هذا الأدب قد خاض غمار مسار الحصول على الاستقلال، وقد خاض غمار مسار تكوين هوية ثقافية، فإنّه يحمل في ثناياه كلّ تطلعات الأجيال المتعدّدة وكلّ أحلامها وأفكارها، ولكن أيضًا ثوراتها وكلّ رفضها. ص293.

الواقع أنّ الاستشراق المستعرب في الفترة التي نعيشها

(1) أليس في هذا العدد شيءٌ من المبالغة؟ على الأقلّ بالنسبة لفترة ظهور الكتاب، أي سنوات 1980 من القرن المنصرم.

الآن موجود في وضعية غير مريحة تمامًا، مثل سابقه الذي كان معاصرًا لفترة الاستعمار الذي كان عليه - كي يتلاءم معه - أن يجعل من نفسه جنديًّا أو إتنوغرافيًّا أو عالِم آثار، لكنّه على العكس منه لأنّه معاصر لفترة إزالة الاستعمار، فإنّ المستعرب الحالي يبدو وقد جُرِّد شيئًا فشيئًا من كلّ المجالات التي مارس فيها تقليديًّا كلّ نشاطه دون أن يجرؤ على أن يحدث لنفسه مناطق جديدة للتدخّل، إضافة إلى أنّ السلطة لم تجرؤ أبدًا على أن تفرض على مُمثِّليها الدبلوماسيين أو الثقافيين أو التجاريين في العالم العربي أن يُحسنوا التحدُّثَ باللغة العربية، لأنّ العرب يتحدّثون زيادة عن العربية الفرنسية أو الإنجليزية، وهي في هذا وفية لتقليد محكَم. ص 296.

2.3. نمذجة الثقافات[1]

هذا يعني انّه سيكون لتفكير من هذا القبيل استحقاق دفع الباحثين إلى تحليل الثقافات في تفاصيلها الدقيقة، وهو أساس كلّ طموح نمْذَجي أي تعميمي في مجالٍ آخر. هؤلاء الباحثون ليسوا معجميين فقط، بل أنتروبولوجيون وإتنوغرافيون وعلماء اجتماع، يعني اختصاصيّي ثقافة، قد يصلون عبر الاستدلال

(1) Sémasiologie/onomosialogie : la voie arabe de la léxicogragie, مجلّة اللسانيات مرجع سابق.

إلى تشكيل سجلٍّ بالغ الدقّة، وقد يمكنهم فيما بعد تعميم ملحوظاتهم للوصول إلى تحديد هذه النمذجة للثقافات.

علينا بعد ذلك إنشاء عناوين مصطلحية كثيرة تتضمّن إلزامات دقيقة جدًا تسهِّل التعرّف أولاً ثمّ الاستغلال تاليًا إلى حدٍّ يمكن لمجموع المعطيات أن تكون مثبتة في سجلٍّ عام. من السّهل تصور أنّه انطلاقًا من هنا يكون إنشاء برامج ممكنة للرقن (أو التصفيف) حيث تُسهِّل الإلزامات المذكورة سابقًا الترجمة الآلية، وتسمح لهذه الأخيرة بتحقيق إنجازات أكثر دقّة ممّا أنجزته حتى الآن.

الأونوماسيولوجيا والترجمة الآلية

هذا تطبيق ممكن للبحث الأونوماسيولوجي، ولإرادة الوصول إلى نمذجة للثقافات أو لبعضها. يبدو الإجراء الأونوماسيولوجي في الواقع لصيقًا بالواقع بقدر ما ينطلق من المفهوم بحثًا عن العلامات اللغوية التي تناسبه، بمعنى أنّه ينطلق من الفكرة التي ينبغي التعبير عنها للوصول إلى الكلمة التي تعبِّر عن هذه الفكرة.

نستطيع دائمًا الاعتراض بأنّه لا مجال للفصل في العمل المعتاد للفكر وللخطاب بين الفكرة والتعبير عنها، وأن الفكر بلا كلمات لن يكون سوى سديم (بتعبير دو سوسير). إذا

كانت مادّة المضمون فعلاً غير قابلة للفصل عن شكله في سير الخطاب وفي مسار الإبداع اللغوي، فإنّنا نستطيع على الأقل أن نتصور أنّ التحليل - ولضرورات القضية - يعطي لنفسه أريحيَّة الفصل بين هذه وذاك.

ما يمكننا قوله هو أنّه للتعبير عن فكرة ما مهما كانت لا ننطلق من الكلمات. لا يتشكّل الخطاب من تعاقب كلمات (أسماء وصفات وأفعال) حاملة لمعانٍ معينة. يتجه تفكيرنا بداية إلى ما نريد قوله، فتنبثق الكلمات عندها في الدينامية التي توجِدها تلك الرغبة وتأخذ مكانها كما لو كانت تلبِّي نداءَ الفكر.

ربما بحديثنا عن هذه الفكرة البسيطة يمكننا تصور دفعٍ للبحث في مجال الترجمة الآلية التي اكتفت مُطوَّلاً بالانطلاق –بعناد– من الكلمات".

2.4. من الألفاظ إلى المعاني والعكس[1]

ليس غرض المعجميّ أن يخلق عوالم خيالية وأشخاصاً ورقية عن طريق الكلمات كما يفعل الروائي، بل أن يجمع تلك الكلمات، نفس الكلمات، ويُخضعها لنظام تابع لقواعد تختلف عن تلك التي تعتمدها الرواية، وإن كان بإمكان مادّة

(1) مجلّة المعجمية العربية، عدد 6/5، مرجع سابق.

المعجم هذه أن تشكِّل نوعًا من الخطاب... فهي في الحقيقة ليست جامدة متحجِّرة، ويمكننا أن نُحلِّلها على مستويات عديدة:

- هناك شكل هذه المادّة، أي كيفية معالجتها: ترتيب ألفبائي، اشتقاقي مباشر أو معاكس (حسب أوائل الأصول أو أواخرها) ثمّ جعل الأفعال أولاً ومن بعدها الأسماء أو العكس، أو خلط هذه المادّة وتلك حسب درجة الاشتقاق.

- هناك أيضًا مستوى التفسير أو الشرح؛ أي تعريف الكلمات أو تحديدها بالمترادفات أو الأضداد أو الجمل، إلى غير ذلك...

- هناك أيضًا مستوى المعاني بالإشارات إلى حالتها اللغوية أو بدونها: حقيقية هي أو مجازية، بائدة أو مستعملة، أدبية أو صحافية أو علمية، إلى غير ذلك من الإشارات التي توفّرها المعاجم الحديثة للقراء.

- هناك أخيرًا مستوى رابع هو مستوى معنى المعنى، أي معنى كلّ المواد التي أحصيتها في المستويات السابقة، ونستطيع أن نعالج فيه ما يتعلَّق بالمؤلّف: بيئته، وثقافته، وشخصيته وأصالته، إلى غير ذلك من الحالات

والظروف، خارجية كانت أو داخلية، التي من شأنها أن تؤثِّر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على العمل المعجمي.

...

ولكن هناك نوع آخر من التعريفات التي تفتقد علميتَها في الرجوع إلى الحقيقة الواقعية الخارجة الموجودة في العالم الطبيعي... ولكن تثير هذه الطريقة الكثيرَ من المشكلات الفلسفية؛ لأنّ اللجوء إلى مرجع خارج عن الكلام لتعريف المواد المكوِّنة له يؤدّي في وقت آخر إلى الاعتقاد الساذج بأنّ الكلمة هي الشيء الذي تدلُّ عليه. وعلى هذا الاعتقاد يترتّب الاستعمال المتكاثر للوثائق المصّورة في بعض المعاجم اللغوية؛ وكأن احسن طريقة لتعريف شيء من أشياء الطبيعة هو اظهار الشيء نفسه او اظهار صورته.

ويجب هنا أن نفهم فهمًا قاطعًا أنّ الصورة التي تجيء في هامش المعجم لتفسِّر بشكل واقعي موضوعي، معنى كلمة "كلب" مثلاً، لا تتطابق بأيِّ حال من الأحوال مع الحقيقة العلمية؛ لأنّ الصورةَ هي صورة كلب معيّن من جنس معيّن بلون معين وطول معيّن.. أما التفسير اللغوي للكلمة فقد جرّد مفهوم كلب من كلِّ خصائصه المعينة. ما أريد أن أقوله عندما أتحدّث عن الاستناد إلى العالم الطبيعي لتعريف بعض

المفردات هو أنّ هذا العالم ليس العالم في طبيعته؛ لأنّنا لا نستطيع أخذه قطعة قطعة وندخله إلى معجماتنا، بل هو العالم كما تُحقِّقه اللغة وتوسِّطه. ليست الكلمة الشيء الذي تدلُّ عليه، بل إنّما هي صياغة أخرى لواقعه الذي نتكلّم عنه أو الذي ننطلق منه عند بحثنا عن المعاني الدالّة على الأشياء".

2.5. عرس الزين : الكيمياء الأدبية في السودان[1]

يحوِّل التحليلُ المعاصر الروايةَ شيئًا فشيئًا عن مهمّتها الأولى التي كانت تبدو مُوجّهة فقط إلى توفير متعة وديعة بسردها لنا حكايات وقصصًا. يهتمّ التحليل بالرواية لأنّها وهي تروي لنا حكايات بالضّبط، تقوم بكتابة تاريخ الإنسان.

لكنّ ذلك لا يعني أنّه علينا أن نبحث –وبأيِّ ثمن- في الرواية عن سردِ أو تأكيدِ أحداثٍ روائيةٍ حتى في حالة رواية تستمدُّ أحداثَها من التاريخ.

إنّ الروائي ليس مؤرِّخًا ولا صحافيًّا. إنّه حرٌّ تمامًا إزاء الحدث الذي يرويه. ذلك أنّ الرواية وهي تعطينا شيئًا لرؤيته أو تصوره، تعرض نفسها في الوقت ذاته كمشهد. هناك دائمًا في مكان ما تلك العلامة التي تقول لنا: "حذار، خيال!".

---

(1) Le Merveilleux et la magie dans la littérature, مرجع سابق

على أنّ هذا لا يعني أنّ الروايةَ لا تقدِّم معلومات، بل العكس. إنّما هي معلومات غير مباشرة كما يمكن القول، وهي تُقرأ فيما بين السطور. ذلك أنّ كيمياء الأدبِ تحوِّل المادّةَ إلى كلمة، فينبثق عن إبداعِ الروائيِّ أو الشاعر واقعٌ، حقيقةٌ لا تتجسّد أمام العين، بل تُرى بالذِّهن والعقل. ومع ذلك ينبغي الحذر هنا أيضًا، فقد نحاول بطبيعة الحال التعرُّف على شخصيات أو كشفَ دلالة بعض الرموز. والحقيقة أن التحليـــل الأدبـــي يرفض أكثر فأكثر لعب لعبة حلِّ هذه الأحجيات تمامًا مثلما هجر مشروعَ إصدار أحكام قيمية أو الاكتفاء بذلك. إنّه يريد أن يكون ميكانيكيًّا، (يبحث عن الآلية)، يحاول أن يعرف كيف يعمل هذا الأثر أو ذاك. يتساءل "كيف تسير الأمور؟". يبحث عن القطع الأساسية، عن الأجهزة الميكانيكية، ويلحظ كيف تترابط، ويرغب في تتبع مسار الطاقة المُنتَجة عن التقاء هذه العناصر "الأدبية" في إعادة انتشارها نحو خيال كوني.

ومع ذلـــك لا يفلـــت الأثـــر من ظروف إنتاجه. الفترة والمكان والمجتمع والثقافة والمبدع، فهي تلقي عليه بكلِّ ثقلها وتُقرأ فيه، وتمارس عليه إكراهًا مزدوجًا: أولاً في اختيار العناصر التي تشكِّل الأثر الفنّي، ثمّ بعد ذلك - أو أثناءه - المعالجة الدينامية لهذه العناصر.

كذلك هو الحال بالنسبة لرواية عرس الزين، الرواية التي تندرج ضمن سياق عربي بالمعنى الواسع، بما أنّها تتمظهر على ضفاف النيل شمال مدينة الخرطوم، التي مرّ مضمونها عبر مصفاة الأرثوذكسية الإسلامية.

الفصل الثالث

بيبليوغرافيا دانيال ريغ

بيبليوغرافيا دانيال ريغ ثرية جدًّا. يتواتر حضوره فيها تواتــرًا متسارعًا نسبيًّا، ســواء باعتباره كاتبًا لكتب ومقالات عديدة نُشِرت في كتب مستقلّة وأخرى جماعية، أم بترجمات بعض هذه الكتـب والمقالات إلى لغات منها العربية، أو بكتابات تناولت هذه المؤلّفات أو بحضوره هو، أو مؤلفاته، في بيبليوغرافيا كتابات أخرى ودراسات تناولت مجالات بحثه، أو اقتربت منها عرْضًا أو نقدًا أو ردًّا أو استشهادًا واقتباسًا.

3.1. الكتب :

3.1.1. الكتب المستقلّة : ترك دانيال ريغ تسعة كتب مطبوعة، مكتوبة باللغة الفرنسية و/أو مزدوجة اللغة (عربية وفرنسية).

3.1.1. أتعلّم العربية ج1، Maisonneuve et Larose, Paris 1977.

3.1.2. أتكلّم العربية ج2، Maisonneuve et larose, Paris 1984.

3.1.3. Coll. **السبيل، معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي** Saturne, Larousse, Paris 1983.

طبع هذا المعجم بعد ذلك طبعات كثيرة، واختصِر إلى حجم الجيب، وطبع في هذا الحجم أيضًا مرّات عديدة.

3.1.4. Maisonneuve et **كتاب التصريف، ألف فعل وفعل،** Larose, Paris, 1983.

3.1.5. جولة في عالم العرب من خلال الصحافة والأدب، Maisonneuve et Larose, Paris 1985.

3.1.6. Ibn Al Jawzi, La pensée vigile, Sindbad, Paris 1986.

3.1.7. السبيل الوسيط، معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي، Larousse, paris 1987.

3.1.8. Homo Orientaliste, la langue arabe en France depuis le XIX^{e} siècle, Maisonneuve et Larose, Paris 1988.

3.1.2. الكتب الجماعية (المشتركة)

3.1.2.1. القاسم (أفنان). العجوز (رواية) المطبوعات الجميلة. الجزائر 1991.

الرواية من تقديم ريغ، وله بها دراسة عنها أيضًا.

3.1.2.2. Le Merveilleux et la magie dans la littérature: actes du colloque de Caen 31 aot-2 septembre 1989, (Daniel Reig, Les Noces du beau: l'alchimie littéraire au Soudan). Ed. Rodopi, B. V., Amsterdam-Atlanta, GA 1992.

3.1.2.3. Ile des merveilles : miroir, magie, mythes, Centre culturel international (Cerisy-la-Salle, Manche). Colloque (1993-08-02/1993-08-12**), (**Daniel Reig, Introduction : l'ile: images et fonctions + Les Iles de Sindbad ou l'envers du monde), L'Harmattan, Paris, 1997.

3.1.2.4. Histoire de l'islam et des musulmans en France du Moyen Âge à nos jours, (Daniel reig, L'Orientalisme savant : de l'humanisme au politique) Ed. Albin Michel, Paris 2005.

3.1.3. مداخلات في ملتقيات (لم نعثر عليها منشورة في كتاب)

3.1.3.1. Le Discours littéraire arabe contemporain, in : Discours, écriture et société dans le monde islamique contemporain. Colloque au Collège de France à Paris le 4-5 février 1977.

3.1.4. مقالات منشورة بالفرنسية

3.1.4.1. Reig (Daniel). Sémasiologie/Onomasiologie: la voie arabe de la lexicographie. in :

اللسانيات. مجلّة في علوم اللسان وتقنياته. تصدر عن مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية. الجزائر. العدد 11، الجزائر 2006.

3.1.5. مقالات منشورة باللغة العربية

(ما نذكره هنا من مقالات لـدانيال ريغ ليس حصريًّا، بل تمثيليًّا فقط).

3.1.5.1. ريغ (دانيال). **من الألفاظ إلى المعاني والعكس.** بحث مُقدّم في ندوة المعجم العربي التاريخي. تونس، 14-17 نوفمبر 1989. مجلّة المعجمية التونسية عدد 5-6، تونس 1990.

3.1.6. ترجمة مؤلّفاته إلى اللغة العربية

3.1.6.1. (الكتب)

3.1.6.1.1. ريغ (دانيال). رجل الاستشراق، مسارات اللغة العربية في فرنسا. ترجمة إبراهيم صحراوي. دار التنوير للنشر والتوزيع. الجزائر، ط 3، 2012.

(وهي ترجمة لكتاب Homo Orientaliste وقد ظهرت الطبعة الأولى عن دار الجفّان والجابي (ليماسول، قبرص) صائفة سنة 2000، ولم تكن تحمل العنوان الفرعي: مسارات اللغة العربية في فرنسا).

3.1.6.2. (المقالات)

3.1.6.2.1. الخطـاب الأدبي العربي المعاصر. مداخلة دانيال ريغ في ملتقى الخطاب والكتابة والمجتمع في العالم الإسلامي المعاصر. كوليج دوفرانس باريس، 4-5 فيفري 1997. ترجمة إبراهيم صحراوي، الحياة الثقافية عدد 35، تونس 1985.

3.1.6.2.2. الاستشراق العالِم : من الإنسية إلى السياسة. ترجمة محمّد يحياتـن. معالِم للترجمة. العدد 4. المجلس الأعلـى للغـة العربيـة. الجـزائر 2011. مأخوذة من كتاب: Histoire de l'Islam en France du moyen age à nos jours, Ed. Albin Michel, Paris 2005.

3.2. أعمال دانيال ريغ في ميزان النقد

تناول الدارسون بعض مؤلفات دانيال ريغ عرضاً أو نقداً وتحليلاً أو هما معاً. لكن ما تجدر الإشارة إليه هو أننا لم نصادف مؤلفاً أُفرد لهذا الغرض واقتصر عليه، بل لم نصادف كتاباً خُصِّص له كلية، وقد يكون الكتّيب الحالي أول خطوة في هذا المجال[1]، لذلك نجد الملاحظات التي سيقت عن

(1) نقول هذا بكل تحفظ.

آثاره والآراء التي أُطلقت فيها، متفرقة في مقالات أو ضمن كتب. فيما يلي بعض هذه الملاحظات التي نجدها مبثوثة هنا وهناك.

3.2.1. عن كتاب : أتعلّم العربية :

في أطروحته التي تقدّم بها لنيل شهادة الدكتوراه في جامعة اللورين بعنوان:

Efficacité des manuels scolaires dans l'acquisition et la maitrise de la lecture sémantique en langue arabe langue étrangère. Diagnostic et orientation avec la réalisation de corpus

- فعالية الكتب المدرسية في تحصيل القراءة الدلالية باللغة العربية لغة أجنبية والتحكُّم فيها- يقدّم محمّد ناوي من الصفحة 111 حتى الصفحة 130 قراءة في كتاب "أتعلّم العربية" عرْضًا ووصفًا نقديْن لطريقة تعليم العربية المُتّبعة في الكتاب وشرحًا ونقْدًا. من ذلك مثلاً:
- خلوُّه من أيِّ دعامة صوتية (شريط أو قرص...) برغم إشارته إلى استلهامه منهجية المقاربة السمعية-البصرية المبنية على الصوت والصورة المستعملين بصورة آنية، ذلك أنّ التعلُّم يتمُّ بـــ"الرؤية والأذن".
- التعليمات المصاحبة للدروس تأتي باللغة العربية ما

يمكن أن يشكِّل صعوبة إضافة للتلاميذ برغم أنّ المعلّم يوضِّح هذه التعليمات بترجمتها أحيانًا.

- خلوّ الكتاب من أيِّ نصٍّ أصيل (أي مأخوذ من مصادر عربية سابقة)، ذلك أنّ النصوص كلّها من وضع المؤلِّف.

- السيطرة المطلقة للمعلِّم على الدرس، بما لا يترك أيةَ مبادرة للتلميذ الذي هو في نظره مجرّد مستمع ومسجِّل للرسائل التي يبعثها إليه. يعيدُ الأولُ نطق حرف ما، ويجعل الثاني يحاول ترجمته كتابيًّا. وهكذا يتعلّم التلاميذ -حسب هذه الطريقة- انطلاقًا من أسئلة عليهم الإجابة عنها، ولا مكان لمبادرتهم أو مشاركتهم أو إبداعهم دون سؤال من المعلِّم، ومنه فالتمارين مُوجَّهة تمامًا.

- يُعوَّل على حدس التلاميذ في كلِّ درس للتنبؤ بوضعية ما، انطلاقًا من رسوم. يتمّ تعليم القواعد النحوية مباشرة باللغة العربية، ولذلك فهذا الحدسُ هو أساس الفهم.

- في بعض دروس النّحو مثلاً لا يقدّم المؤلِّف شروحًا وافية؛ من ذلك مثلاً أن المعلِّم لا يشرح للتلاميذ

المبتدئين قاعدة اشتقاق اسمي الفاعل والمفعول من الفعل الثلاثي أو غير الثلاثي، ومنه أيضًا: أنه لا يرشدهم إلى الصيغة الصحيحة في كل حالة. كذلك الأمر بالنسبة لـــ"ليس" ووظيفتها. وهو نفسه كذلك لقضايا أخرى يشير إليها الدارس الذي يمضي في وصفه للطريقة (للكتاب في الحقيقة) سلبًا أو إيجابًا بحسب الحالة مع بعض التكرار، لينهي حديثه بتقويم عبر ملحوظات تغلب عليها السلبية؛ منها مثلاً: أنّ التلميذ يبقى مجرّد متفرِّج على مقاطع صُمِّمت من أجله، لكن بدونه، وبأنّ الطريقة مصطنعة ولا علاقة لها بالواقع اليومي للتلميذ الذي لن يهتمّ بإجراء لا يعنيه، لأنّ اهتماماته واحتياجاته لم تؤخذ بعين الاعتبار؛ فالكبار حسب الدارس - وهم المؤلِّف والرسّام- هم من حدّدوا "عالمَه" مكانه دون إشراكه في ذلك. لذلك يرى ما يشبه التناقض بين هذا الغياب للمتعلِّم وبين إشارة المؤلّف إلى استلهامه من البنوية والطريقة السمعية البصرية التي تستند بدورها إلى إسهامات علم النفس السلوكي، والنظريات السلوكية التي تستند في إدراكها للغة باعتبارها شبكة من العادات على لعبة اشتراك بين التحفيز والإجابة. حتى الرسوم في

الكتاب لم تسلم من نقد الدارس الذي لاحظ افتقارها إلى إيحاءات دلالية تتناسب مع الفضاءات التي يفترض أنها تحيل إليها. ملاحظًا غيابًا تامًّا لذكر أيّ مدينة أو موقع أو مكان عربي، وهو ما اعتبره تناقضًا مع إشارة المؤلِّف في مقدِّمته إلى الإرث الثقافي للغة العربية الذي يمتدُّ عبر خمسة عشر قرنًا. التقويم كان سلبياً إذن على أكثر من صعيد. علمًا أن العرض والتقديم والملحوظات والنقد اقتصرت على الجزء الأول فقط.

3.2.2. عن السبيل :

- تضمّن الجزء الأول من المجلّد 32 لمجلّة أرابيكا عرضًا نقديًّا من ثلاث صفحات لمعجم السبيل، كتبه المستشرق المستعرب المعروف شارل بيلا. تضمّن ملحوظات مختلفة على المعجم شكلاً ومضمونًا[1]، ملاحظًا عدم وجودِ حدود فاصلة بين ما أسماه ريغ بالعربية الحديثة والعربية الكلاسيكية، أو على الأقلّ غموضها إن وُجدت.

(1) Pellat (Charles). "Dniel Reig, dictionnaire arabe-français, français-arabe Larousse/ Alsabil, mu'gam 'arabi-firanci, firanci-'arabi Larus Paris 1983", in : Arabica Tome XXXII, 1985.

- وكتب محمّد رشاد الحمزاوي في العدد الأول من مجلة المعجمية العربية[1]، تونس، مقالاً بعنوان: السبيل، معجم عربي فرنسي، للدكتور دانيال ريغ. ضمّنه فيما بعد كتابه: المعجم العربي: إشكالات ومقاربات[2]، قدَّم فيه ملحوظات دقيقة واعية عن المعجم شكلاً ومضمونًا ذاكرًا ما له وما عليه.

- كما كتب عبد الغني أبو العزم في العدد الثاني من مجلّة الدراسات المعجمية[3]، المغرب، مقالاً بعنوان: اللغة العربية الحديثة في معجم "السبيل" ثنائي اللغة (عربي-فرنسي). تساءل في بدايته عن التوجُّه العامّ لهذا المعجم والمنهجية التي اختارها له، وكيف استطاع أن يكيِّفه مع أدواتها ترتيبًا ومادّة؟ لينطلق بعد ذلك في البحث عن إجابات لتساؤلاته، بادئًا في ذلك بتناول

(1) الحمزاوي (محمّد رشاد). "السبيل، معجم عربي فرنسي للدكتور دانيال ريغ" في: مجلة المعجمية العربية، عدد 1، تونس 1985، ص 193.

(2) الحمزاوي (محمّد رشاد). المعجم العربي: إشكالات ومقاربات. بيت الحكمة، تونس، 1991.

(3) أبو العزم (عبد الغني). اللغة العربية الحديثة في معجم "السبيل" معجم ثنائي اللغة (عربي-فرنسي)، في: مجلّة الدراسات المعجمية، عدد 2، المغرب، 2003.

الترتيب، وملاحظًا أن ريغ اختاره تحت ضغط المعاجم السابقة له، وهو ما بدا له تناقُضًا مع التوجه العام للمعجم الذي "كان توجهًا مدرسيًّا يرمي إلى جعل مستعمله يتعامل معه بسهولة ودون عناء"[1]. ثم يُجري مقارنات سريعة بينه وبين معجم سابق له، هو معجم كازيميرسكي، وآخر تالٍ له هو المعجم الوسيط، من حيث الترتيب الشكلي للمادّة اللغوية ومدى إهماله أو إثباته لهذا اللفظ أو ذاك مقارنة بهما. ليمرّ بعد ذلك إلى معاينة ترتيب المادّة نفسها من حيث المضمون، معتقدًا أنّ هذا الترتيب "بحاجة إلى مراجعة"[2]، مع طلب يبدو لنا غريبًا بعض الشيء: "مع ضرورة أن يبتعد عن التقنين الصيغي للأفعال كما وضعه المستشرقون عند تعاملهم مع النحو العربي وصيغ أفعاله"؟ وهل كان ريغ غير مستشرق مستعرب قضى معظم حياته في الجامعات الفرنسية دراسة وتدريسًا واشتغالاً بالثقافة العربية عن بعد؟

لكن، مع هذه الانتقادات، لا يهمل أبو العزم الإشارة إلى بعض حسنات المعجم قياسًا إلى سابقيه - وحتى

(1) نفسه، ص 13.
(2) نفسه، ص 20.

لاحقيه - منها أنّه خطا خطوة هائلة في استقصاء ما جدَّ في مجال تطور اللغة العربية، وضبط الاصطلاحات حسب ما هو متعارف عليه في صناعة المعاجم الأوروبية... وتميّزت بالدقّة والاتساق في القسمين العربي والفرنسي، كما أنّه سعى ولاحَق العديد من التعابير الحديثة والمصطلحات العلمية والتكنولوجية سواء في الكتب المدرسية أو كتب الأدب أو الصحافة. ويمضي في إظهار ميزات أخرى للمعجم عبر العودة إلى المقارنة.

- كما كان السبيل (أو بالأحرى القسم العربي الفرنسي منه) موضوعًا للحديث، أي خلفية تطبيقية تحليلية ومصدرًا للأمثلة في كتاب: La Traduction dans les dictionnaires bilingues- الترجمة في المعاجم مزدوجة اللغة، من تأليف لين فرنجية Lynne Franjié [1]، الصادر عن منشورات Le Manuscrit, Paris -المخطوط، باريس، سنة 2009. مع ملحوظات عن المعجم تناولته من جوانب متعدِّدة تتعلَّق بالترجمة في هذا النوع من المعاجم كما هو واضح من عنوان الكتاب وما تطرحه من قضايا.

(1) Franjié (Lynne). La Traduction dans les dictionnaires bilingues. Editions Le Manuscrit, Paris, 2009.

- كما كانت كيفية التعامل (الشرح) في معجم السبيل صرامة أم تساهلاً مع بعض الألفاظ ذات الأصل غير العربي، لكن بصورة لفظية مشتركة (الاشتراك اللفظي- حقيقيًّا كان أم كاذبًا) موضوعًا لمداخلة بعنوان: Homonymes, mots apparentés et faux frères dans le dictionnaire de Daniel Reig : étude de cas à partir de quelques emprunts étrangers[1]- المشترك اللفظي، ألفاظ متقاربة (أو متعالقة) ومشترك كاذب: دراسة حالات انطلاقًا من بعض الاستعارات (المقترضات) "من اللغات" الأجنبية، ألقاها جون-كلود رولان[2] في ملتقى جمعية الدراسات المعجمية والتأصيلية الفرنسية والعربية-SELEFA، يوم 12 أفريل 2012.

3.2.3. عن كتاب التصريف

- تضمّن الجزء الأول من المجلّد 32 لمجلّة أرابيكا عرضًا نقديًّا من ثلاث صفحات لكتاب التصريف، كتبتْه الأستاذة المستشرقة المستعربة ندا طوميش.

(1) http://www.selefa.asso.fr/files_pdf/AcLettre_01_D3_REIG.pdf
(2) ترجم مجموعة شعرية للشاعر المصري عبد الرحمن الأبنودي إلى الفرنسية.

3.2.4. عن ترجمة كتاب صيد الخاطر

- تضمّن العدد الخامس من Bulletin critique des Annales Islamologiques– النشرة النقدية لحوليات الدراسات الإسلامية، لسنة 1988 عرضًا نقديًّا لترجمة دانيال ريغ لكتاب صيد الخاطر تحت عنوان: Ibn Al-Jawzi, La pensée vigile, traduit de l'arabe et présenté et annoté par Daniel Reig. Paris, Sindbad, 1986. p.331[1]
  ابن الجوزي، صيد الخاطر، نقله من العربية وقدّم له وعلَّق عليه دانيال ريغ. باريس، سندباد، 1986. 331 ص.

لاحظ كاتب العرض بأنّ الترجمة جيِّدة، لكنّها لم تخلُ من هفوات وأخطاء كثيرة ضرب لها أمثلة.

(1) Gril (Denis). Ibn Al-Jawzi, La pensée vigile, traduit de l'arabe et présenté et annoté par Daniel Reig. Paris, Sindbad, 1986. 331 p. in : Bulletin critique des annales islamologiques, n° 5, 1988.

بيبليوغرافيا

1- كتب باللغة الفرنسية

- Arkoun (Mohamed) Dir. L'Histoire de l'Islam en France du moyen âge à nos jours (collectif). Albin Michel, Paris, 2006.
- Chandès (Gérard). Le Merveilleux et la magie dans la littérature. Ed. Rodopi, B. V., Amsterdam-Atlanta, GA 1992.
- Franjié (Lynne). La Traduction dans les dictionnaires bilingues. Editions Le Manuscrit, Paris, 2009.
- Naoui (Mohamed). Efficacité des manuels scolaires dans l'acquisition et la maitrise de la lecture sémantique en langue arabe langue étrangère. Diagnostic et orientation avec la réalisation de corpus, thèse, Université de Lorraine, France, 2018.
- Pouillon (François). Dictionnaire des orientalistes français de langue française. IISMM.

  CARTHALA éditions, Paris 2008. 2ème éd. 2012.

- Reig (Daniel). Homo orientaliste, la langue arabe en France depuis le XIX^{e} siècle, Maisonneuve et Larose, Paris 1988.
- Reig (Daniel). Ile des merveilles: miroir, mirage, mythe. Ed. L'Harmattan, Paris 1997.
- Reig (Daniel). La Pensée vigile d'Ibn Al Jawzi. Sindbad, Paris 1986.
- Reig (daniel). Al façil. Dictionnaire arabe français, al Mhit, Maisonneuve et Larose, Paris 1992.
- Rolland (Jean-Claude).
- Arabica Tome XXXII, 1985 :

  Pellat (Charles). "Daniel Reig, dictionnaire arabe-français, français-arabe Larousse/Alsabil, mu'gam 'arabi-firanci, firanci-'arabi Larus Paris 1983",

  Tomiche (Nada).
- Bulletin critique des annales islamologiques, n°5, 1988: Gril (Denis). "Ibn Al-Jawzi, La pensée vigile, traduit de l'arabe et présenté et annoté par Daniel Reig. Paris, Sindbad, 1986. 331 p."

2- كتب باللغة العربية

- بن هادية (علي)، البليش (بلحسن)، بن الحاج يحيى (الجيلاني). القاموس الجديد للطلاب. الشركة التونسية للتوزيع، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (الطبعة الأولى 1979).
- الحمزاوي (محمد رشاد). المعجم العربي، إشكالات ومقاربات. بيت الحكمة، تونس 1991.
- الحمصي (أحمد سليم) وضنّاوي (سعدي عبد اللطيف). الرافد، معجم الناشئة اللغوي. المؤسّسة الحديثة للكتاب. لبنان (الطبعة الأولى 2015).
- دورتييه (جون-فرانسوا)، إشراف. فلسفات عصرنا. ترجمة: إبراهيم صحراوي. الدار العربية للعلوم/بيروت، منشورات الاختلاف/الجزائر. 2009.
- ريغ (دانيال). أتعلّم العربية ج1. Maisonneuve et Larose، Paris، 1977.
- ريغ (دانيال). أتكلّم العربية ج2. Maisonneuve et Larose، Paris، 1981.
- ريغ (دانيال). جولة في عالم العرب من خلال الصحافة والأدب. Maisonneuve et Larose، Paris، 1985.

- ريغ (دانيال). السبيل، معجم عربي فرنسي، فرنسي عربي. لاروس، باريس (الطبعة الأولى 1983).
- ريغ (دانيال). كتاب التصريف، ألف فعل وفعل. Maisonneuve et Larose، Paris، 1983.
- ريغ (دانيال). السبيل الوسيط، معجم عربي فرنسي، فرنسي عربي، باريس (الطبعة الأولى 1987).
- ريغ (دانيال). رجل الاستشراق. ترجمة إبراهيم صحراوي. دار الجفّان والجابي، قبرص ط1 2000.
- ريغ (دانيال). رجل الاستشراق، مسارات اللغة العربية في فرنسا. ترجمة إبراهيم صحراوي. دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3 2012.
- القاسم (أفنان). العجوز (رواية)، المطبوعات الجميلة، الجزائر 1991.
- مسعود (جبران). الرائد، معجم لغوي عصري. دار العلم للملايين، لبنان (الطبعة الأولى 1964).
- المعلوف (لويس). المنجد في اللغة. دار المشرق، لبنان (ط1 سنة 1908).
- يعقوب (إميل). المعاجم العربية، بداءتها وتطورها. دار العلم للملايين، بيروت 1985.

3- دوريات باللغة الفرنسية :

- Arabica Tome XXXII, 1985 :

  Pellat (Charles)."Daniel Reig, dictionnaire arabe-français, français-arabe Larousse/ Alsabil, mu'gam 'arabi-firanci, firanci-'arabi Larus Paris 1983", Tomiche (Nada).

- Bulletin critique des annales islamologiques, n° 5, 1988 : Gril (Denis). "Ibn Al-Jawzi, La pensée vigile, traduit de l'arabe et présenté et annoté par Daniel Reig. Paris, Sindbad, 1986. 331 p."

4- دوريات باللغة العربية :

- أبو العزم (عبد الغني. اللغة العربية الحديثة في معجم "السبيل" ثنائي اللغة عربي فرنسي. مجلة الدراسات المعجمية، عدد 2، المغرب 2003.
- ريـــغ (دانيـــال). الخطاب الأدبي العربي المعاصر. ترجمة: إبراهيم صحراوي. مجلّـــة الحيـــاة الثقافية. عدد 35، تونس 1985.

- ريغ (دانيال). من الألفاظ إلى المعاني والعكس. مجلة المعجمية العربية. عدد 5، 6، تونس 1991.
- Reig, (Daniel). Sémasiologie, onomasiologie: la voie arabe de la léicographie, 9 ,مجلّة اللسانيات، عدد الجزائر 2011.
- ريــغ (دانيــال). الاستشراق العالم: من الإنسية إلى السياسة. ترجمة محمد يحياتن. معالم للترجمة، عدد 4، الجزائر 2011.

5- مجلات وجرائد

- مجلّة الوسط. عدد 42، 24 أوت 1992.
- جريدة الحياة، (لندن، بيروت) 24 08 1992.
- جريدة الأخبار، (بيروت) 11 07 2017.

6- مواقع إلكترونية

- Rolland (Jean-Claude). Homonymes, mots apparentés et faux frères dans le dictionnaire de Daniel Reig : étude de cas à partir de quelques emprunts étrangers, in : www.selefa.asso.fr.
- www.babelio.com
- www.thèses.fr
- http://wadod.net/library/42/4205-5-6.pdf
- https://hal.univ-lorraine.fr/tel-01752221/document